

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محمد أولحاج

- البويرة -

Faculté des Lettres et des Langues

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي التخصص: دراسات لغوية

أثر علوم العربية في تفسير القرآن الكريم تفسير سورة يس
في كتاب الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون
للسمين الحلبي أنموذجا

مذكرة تخرج لنيل شهادة "ماستر في الأدب العربي LMD"

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالبتين:

-د/عمر بورنان

- سارة محديد

- فاطمة الزهرة بوصبع

السنة الجامعية: 2016/2015

كلمة شكر

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذه المذكرة

أتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى الأستاذ المحترم **عمر بورنان** الذي لم يبخل علينا بتوجيهاته و نصائحه القيمة فلولاها لما لا رأى عملنا هذا النور، كما نشكر لجنة المناقشة التي تكبدت عناء التمحيص و المناقشة، كما نشكر كل من ساهم ولو بكلمة في إنجاز هذا العمل. فجزاهم الله كل خير.

إهداء

إلى من لا يمكن للكلمات أن توفي حقهما:

إلى أمي الحنوننة.

إلى أبي الغالي.

إلى إخوتي و أخواتي.

إلى كل صديقاتي دون استثناء.

إلى أساتذتي الكرام طوال المسار الدراسي... إلى كل رفقاء الدراسة

إلى كل من قدم لي يد العون، حتى ولو بكلمة طيبة.

أهدي هذا العمل المتواضع.

فاطمة الزهرة

إهداء

إلى نبض الروح في قلبي أُمي الحبيبة

إلى سندي في حياتي أبي الغالي.

إلى من يجمعني معهم حزن واحد إخوتي: خالد، إبراهيم، يونس، حمزة وأختي شيماء.

إلى من لهم بصمة في قلبي و فؤادي أهدي عملي

سارة

مقدّمة:

الحمد لله الذي أودع في كل آية من آيات كتابه أسراراً لا تُحصى، وعجائب لا تنقضي، ومعجزات لا تنفذ، وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم، اللهم علّنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. أمّا بعد:

فقد ارتبطت الحضارة الإسلامية في جميع مراحلها بلغة القرآن العظيم، فحافظ أهلها على لغتهم، التي كانت تعدّ عندهم من أهم مظاهر عزّتهم وقوتهم، فأخذ هذا الدافع عدّة أشكال وجهود سعت إلى حفظ اللسان العربي من اللحن والخطأ، وتعدّد علوم اللّغة العربية من أكثر العلوم ارتباطاً بشتى العلوم الإسلامية، بل جعلوا التمكن من اللسان العربي شرطاً من شروط الاجتهاد، ممّا جعل الحاجة إلى الاعتناء بالحفاظ عليه.

ولو تأملنا هذه الظاهرة التي لا توجد إلا في العلوم العربية نجد تلك الصّلة المتبادلة بين علوم العربية وعلوم القرآن خاصة، وبالأخص علم التّفسير. فالقرآن الكريم شرف اللّغة العربية إذ نزل بلسانٍ عربيّ مبين؛ هذا من جهة. ومن جهة أخرى تعدّ اللّغة العربية من أهم وسائل فهم النّص القرآني وتفسير آياته. لذا نجد كثيراً من العلماء اهتموا بدراسة القرآن الكريم دراسة لغوية ونحوية وصرفية وبلاغية، وألّفت لذلك مؤلفات عدّة تهتم بجميع هذه الجوانب منها كتب: "غريب القرآن ومفرداته"، "إعراب القرآن"، "معاني القرآن"، "مجاز القرآن"... وغيرها من الكتب التي تُبرز مدى إسهامهم في هذا الجانب لتحليل تراكيبه تحليلًا يؤدي إلى المعنى الصحيح. وهذا لقياس القرآن وأهميته في الدّراسات اللّغوية التي كان فيها محلّ اهتمام الدّارسين، ومن بين هذه الكتب؛ كتاب "الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون للسّمين الحلبي"، فهو من أهم المصادر التي تناولت مختلف العلوم العربية بالبحث، وربط كل ذلك بأثرها في تفسير القرآن الكريم، ومن خلال كلامه في

مقدمة كتابه نستشف هذه القيمة، حيث تعقب على من صنف في الدراسات القرآنية ولم تكن محيطه بمختلف هذه العلوم العربية، فأراد بمؤلفه " الدرّ المصون " الاستدراك عليهم، وجمع معارف العلوم العربية في مصنف واحد جامع، وذلك لكونها متجاذبة شديدة الاتّصال بعضها ببعض، لا تحصل الفائدة فيها بدون الإطلاع على ما تقدمه باقي العلوم.

ولهذه الأسباب و الدوافع اخترنا هذه الدراسة لعلّنا نصل إلى أجوبة عن الأسئلة التالية:

- إلى أيّ مدى تتكامل معارف العلوم العربية؟
- ما هو أثر العلوم العربية في تفسير القرآن الكريم عامة ؟ وسورة " يس " خاصة من خلال كتاب " الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون للسّمين الحلبي"؟
- هل استفاد المفسرون من علوم العربية مجتمعةً أم أنّهم يستفيدون من علمٍ دون آخر؟
- كيف تمكن السمين الحلبي من الوصول إلى معاني الآيات من خلال الجمع بين هذه العلوم؟

أمّا بالنسبة للدرّاسات السابقة حول الموضوع، فهناك من الكتب التي تناولت بالدراسة اللّغة العربية ودورها في تفسير القرآن مثل كتاب: " التفسير اللّغوي للقرآن الكريم لمساعد بن سليمان الطيّار"، وهناك دراسات حول السّمين الحلبي ومنهجه لكنّ كلّ عنيّ بجانب دون الآخر. منها رسالة الماجستير الموسومة بـ: " اختيارات السمين الحلبي النحوية في كتابه الدرّ المصون، جمعاً ودراسةً وتقويماً والتي أعدّها: محمد عبد الصمد خبير الدّين. " وأيضاً: الرسالة الموسومة: " مسائل المعاني في كتاب الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون. وهي رسالة ماجستير أعدّها : صالح بن أحمد العليوي... في حين لم نجد في فهارس المكتبات من كتّاب في موضوعنا؛ أو بشكل أدقّ على وفق الفكرة التي طرحناها. إذ لكلّ باحث زاوية نظر خاصة تتماشى وأهدافه من الدّراسة.

فتطرقنا إلى هذه الدّراسة الموسومة ب: " أثر العلوم العربية في تفسير القرآن الكريم، تفسير سورة يس في كتاب الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون للسّمين الحلبي ".

أما منهجنا في هذه الدراسة فالمنهج الذي يتماشى وموضوع البحث هو المنهج الإستقرائي التحليلي، حيث قمنا باستقراء مادة البحث من كتاب " الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون للسّمين الحلبي "، كمادة أساسية له، ثم إستقرأنا ما يتعلق به من مادة في كتب التفسير وكتب اللّغة التي لها ارتباط بموضوعنا، ثم قمنا بتحليلها ودراستها.

وهذا وفق خطة وافقنا فيها منهج السمين الحلبي في عرض محتوى الكتاب خاصة في تقسيمنا للفصل التطبيقي ومنهجه في عرض الآيات، وذلك لما ضمّنه رحمه الله من حسن الترتيب والنسق البديع الذي يروق الناظر فيه، واقتضت طبيعة البحث ومضمونه، أن تشتمل خطته على تمهيد، مقدمة، فصلين، خاتمة وفهرسين.

الفصل الأوّل: وهو الجانب النّظري من الدّراسة. بعنوان: (علاقة العلوم العربية بالقرآن

الكريم) واحتوى على ثلاثة مباحث قسّم كلّ منها على حسب ما يقتضيه موضوعه. فالمبحث الأوّل بعنوان: " تكامل العلوم العربية ودورها في تفسير القرآن الكريم " وهو في ثلاثة فروع، ففي الأوّل تطرقنا إلى العلوم العربية قبل انفصالها، أما الثاني فبيّنا فيه كيف تحصل الدلالة بتكامل معارف هذه العلوم، وأشرنا في الثالث منها إلى دور اللّغة العربية في تفسير القرآن الكريم. أما المبحث الثاني فهو " ترجمة موجزة للسّمين الحلبي "، واحتوى على أربعة أقسام، عزّفنا فيها بالسّمين الحلبي من حيث اسمه ونسبه، مولده ونشأته، وآثاره العلمية، وأخيرا وفاته. فأما المبحث الثالث فبعنوان التعريف بالمؤلف " الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ": تحدّثنا في البداية عن قيمة الكتاب ومنهجه فيه، ثمّ مصادره، وأخيرا وضّحنا منهجه في التفسير.

أما الفصل الثاني: والذي يمثل الجانب التطبيقي للدراسة، فقد جاء بعنوان (أثر العلوم العربية في تفسير سورة يس في كتاب الدر المصون) استقرأنا فيه القضايا اللغوية التي وردت في هذا الكتاب في تفسيره لسورة يس ومدى استعانة السمين الحلبي بالعلوم العربية وأثر ذلك في تفسير هذه السورة. وجعلنا هذا الفصل في ستة مباحث، افتتحنا كل منها بتوطئة شرحنا فيها تقسيمنا لكل مبحث و سبب هذا التقسيم، أما تقسيم الفصل فكان كالاتي:

المبحث الأول بعنوان " أثر علم الصوت في تفسير سورة يس في كتاب الدر المصون"، وقسمناه بحسب دلالة الصوت وأثره في تفسير السورة، لذا جاء في قسمين،الأول علّقنا فيه على تفسير الآية" يس"في هذا الكتاب، والثاني بيّنا فيه معاني تشديد الحرف وتخفيفه، فانقسم إلى ثلاثة فروع حسب الدلالة التي تؤديها هذه الخاصية الصوتية. أما المبحث الثاني: فيتمثل في: "أثر علم الصّرف في تفسير سورة يس في كتاب الدر المصون" وبدوره أيضا قسمناه على حسب ما جاء في الدر المصون، لذا حوى قسمين: الأول في تصريف الأفعال والثاني في تصريف الأسماء وهذا الأخير رُتّب على حسب الدلالة التي يضيفها في كلّ مقام فالأول في المصادر والثاني جمعنا فيه المعاني التي تقدمها مباحث علم الصرف كالمشتقات والصيغ وكلها جاءت تحت عنوان "دلالة الأوزان"، والثالث جعلناه لتصغير الأسماء. وكان عنوان المبحث الثالث: "أثر علم النحو في تفسير سورة يس في كتاب الدر المصون" وكغيره من المباحث ربطنا تقسيمه وفق ما عرض السمين الحلبي في كتابه لمختلف المواد النحوية وبطريقته قسمنا هذا المبحث فاحتوى قضايا إعرابية تناولنا فيها الآيات التي فسّرت معانيها بالاعتماد على الإعراب، وقسم لحروف المعاني، وآخر لعودة الضمائر في الآيات . وتطرقنا في المبحث الرابع إلى: "أثر علم اللّغة في تفسير سورة يس في كتاب الدر المصون"، واعتمدنا في ترتيبه على ما قدّمه علم اللّغة في تفسير السورة الكريمة،

واعتماد السمين الحلبي عليه في تفسيره لهذه الآيات. وكان لنا أن عرضنا في المبحث الخامس علوم البلاغة باسم "أثر علوم البلاغة في تفسير سورة يس في كتاب الدرّ المصون"، وجعلنا لكلّ علم منها قسمًا في هذا المبحث. أمّا المبحث الأخير فيمثل دراسة إحصائية بعنوان: "مدى اعتماد السمين الحلبي على العلوم العربية في تفسيره للآية الواحدة"؛ عرضنا فيه كيف جمع السمين الحلبي لمختلف العلوم العربية في تفسيره للآيات.

وانهينا بحثنا بخاتمة جمعنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذه الدراسة حتّى يتيسّر على القارئ استيعاب مضمون البحث.

واعتمدنا في بحثنا هذا على مصادر وجدنا فيها غايتنا من البحث، ففي الجانب النظري رجعنا كثيرا إلى كتب تمام حسّان وكتب علوم القرآن، أما في الدراسة التطبيقية رجعنا كثيرا إلى كتب التفسير حتّى تتجلي لنا معاني الآيات ومن أهمها: الدرّ المصون، البحر المحيط، روح المعاني، والكشاف للزمخشري...

ولاقينا في هذا البحث صعوبات ارتبطت بطبيعة الموضوع أولا وبعدم توفر المصادر والمراجع في مكتبتنا وخاصة التي تتناول بالدراسة السمين الحلبي ومنهجه في التفسير وهذا ما اضطرنا للبحث في رفوف المكتبات الأخرى كجامعة الجزائر والمكتبة الوطنية.

_ سارة محديد

_ فاطمة الزهرة بوصبع

البويرة في: 07 جوان 2016

تمهيد:

توجد في دراستنا هذه مفاهيم نظرية تحتاج إلى شرح؛ فرأينا أن نذكرها في التمهيد، حتى يسهل على القارئ فهم هذه المصطلحات؛ وندفع عنه عناء البحث عنها في ثنايا البحث لذا جعلناها في أوله. وتكمن هذه المصطلحات في:

أولاً: العلوم العربية: إن هذا المصطلح مركب إضافي يتكوّن من مصطلحين اثنين هما: " العلوم والعربية"، ولهذا سنعرض المعنى اللغوي لكلّ منهما على حدى؛ لنجمعهما بعد ذلك في معنى اصطلاحي واحد.

1.1- لغة:

1.1.1- العلم: من خلال ورود وشرح مادة "علم" في المعاجم اللغوية، يتضح لنا أنّ لها عدّة معان. فمن مشتقاتها كما جاء في لسان العرب: "عَلِمَ عَلِمًا وَعَلَّمَ هُوَ نَفْسَهُ"⁽¹⁾، والصّفة منه "رجل عالمٌ وعليم من قوم علماء فيهما جميعاً"⁽²⁾، كما يدل على معرفة الشيء وكذا تعليمه. أمّا النّسبة منه فنقول: العالِم والعلامة، كما أنّه "يقال تَعَلَّمَ في موضع اعلم"⁽³⁾. ويطلق أيضا على مجموعة من القضايا التي تنتمي إلى حقل واحد مثلما أكّده المعجم الوسيط في قوله: "ويطلق العلم على مجموع مسائل وأصول كلبية تجمعها جهة واحدة كعلم الكلام وعلم النحو وعلم الأرض وعلم الكونيات وعلم الآثار"⁽⁴⁾، فكلّ علم من العلوم له أسسه التي يبني عليها ومسائله التي يعالجها على غرار العلوم الأخرى.

¹ ينظر، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، ط4. لبنان: 2005، دار صادر، مج9، مادّة (علم).

² - نفسه، مادّة (علم).

³ - نفسه، مادّة (علم).

⁴ - مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4. مصر: 2004، مكتبة الشروق الدولية، مادّة (علم).

2.1.1- العربية: مصطلح العربية نجده تحت مادة "عَرَبَ" وتتفق المعاجم أنّها لغة قوم من الأمم ف: "العرب أمة من الناس سامية الأصل كان منشؤها شبه جزيرة العرب... يقال: لسان عربيّ، ولغة عربيّة" (1).

فالعربيّة هي مجموعة من الأصوات والوحدات والتراكيب اللّغوية التي اتّفقت عليها الجماعة العربيّة من أجل التّعبير عن أغراضهم وتحقيق التّواصل بينهم ومن ذلك نقول: لسان عربيّ ولغة عربيّة.

1.2- اصطلاحاً: اختلف العلماء في تعريف مصطلح " العلوم العربية "، وذلك بسبب اختلاف زوايا نظر كل منهم، لكنّهم اتّفقوا على أنّ علم العربيّة " علم يحترز به عن الخلل في كلام العرب لفظاً أو كتابةً "، وقسمه العلماء إلى ثلاثة عشر علماً " الصّرف والإعراب (ويجمعهما اسم النحو) والرسم والمعاني، والبيان والبديع والعروض والقوافي وقرض الشّعْر، والإنشاء، والخطابة، وتاريخ الأدب، ومتن اللّغة" (2). فهي الحافظ الأمين للمنطوق والمكتوب من الكلام العربي عامّة .

فالعلوم العربيّة هي: معرفة لأصول ومميّزات لغة العرب في جميع مستوياتها: الصّوتية، الصّرفيّة، النّحوية والتّركيبية.

ثانياً- القرآن الكريم:

1.2- لغة: القرآن " التنزيل العزيز" والقرآن مأخوذ من القراءة والتلاوة، ومنه قرأه يقرؤه ويقرؤه، قرءاً وقراءةً وقرآناً فهو مقرؤٌ. ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا عَلَيْنَا جَمْعُهُ وَقُرْآنُهُ﴾، أي: جمع الآيات القرآنية في كتاب واحد وقراءتها وتلاوتها، نقول: " قرأت القرآن لفظتُ به مجموعاً " بمعنى قرأته وألقيته كلّهُ وهو على وزن " فعلان فنقول: القرآن" (3)، كالغفران والشكران.

¹- مجمع اللّغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (عَرَبَ).

²- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تح: محمد أسعد النّادري، ط39. بيروت: 2001، ج1، ص:8.

³- ينظر، ابن منظور، لسان العرب. مادة (قرأ).

2.2- اصطلاحاً: لقد تقاربت تعاريف العلماء حول مفهوم القرآن تمييزاً له عن غيره، ولعل أغلب التعاريف تجمع على أن القرآن هو " كلام الله تعالى المنزّل على رسول الله صلى الله عليه وسلم باللسان العربي للإعجاز بأقصر سورة منه، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس ⁽¹⁾. فالقرآن بمفهومه الشامل هو الكتاب الذي أنزله الله تعالى على رسوله الكريم الجامع لأمر الدنيا والدين.

ثالثاً: التفسير

1.3- لغة: التفسير على وزن تفعيل وهو مأخوذ من الفَسَّرُ أي البيان، كما أن أصله اللغوي يعني: الوضوح والبروز، نقول " فَسَّرَ الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم، فَسَّرًا وفَسَّرَهُ أبانه". بمعنى بيّن الشيء وأظهره للعيان " فالفسرُ: هو كشف المغطّى" بمعنى إزالة الغموض على الشيء المبهم. ومنه قوله عز وجل ﴿ وَأَحْسَنُ تَفْسِيرًا ﴾، أي أحسن إظهار المعنى كأن نقول: فسّرت الآية تفسيراً، أي بيّنتُ، ولما كان البيان فيها، أصبحت معاني الآية واضحة وبيّنة، لذا يقال أنّ: " التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكّل"، أي هو إيضاح المعنى الخفيّ من اللفظ أو الكلام.

2.3- اصطلاحاً: ارتبط التفسير بالقرآن الكريم لإيضاح معانيه وإزالة الغموض عن ألفاظه، فهو "علم يفهم به كتاب الله المنزّل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكّمه"، أي هو العلم الذي يهتم ببيان المعاني، واستخراج الأحكام والحكم عن طريق التدبّر والاستقراء.

رابعاً: سورة يس: هي سورة مكية وعدد آياتها " ثلاث وثمانون آية وسبعمئة وتسع وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف ⁽²⁾، أما ترتيبها بين سور القرآن الكريم حسب النزول فهي السورة " الحادية والأربعون، نزلت

¹- عبد الحميد الجياش، دراسات في علوم القرآن، ط1. لبنان: 2009، مكتبة الزهراء، ص: 10، 09.

²- علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر السحي أبو الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين: ط1. بيروت: 1415هـ، الكتب العلمية، ج1، ص: 3.

بعد سورة قل أوحى، وقبل سورة الفرقان⁽¹⁾، أما ترتيبها في المصحف فهي قبل سورة الصافات، وبعد سورة فاطر.

أما تسميتها: فقد سميت بهذا الاسم " بمسمى الحرفين الواقعين في أولها... لأنها انفردت بهما... وكذلك ورد اسمها عن النبي صلى الله عليه وسلم... اقرعوا يس على موتاكم⁽²⁾."

فضلها: للسورة الكريمة فضل على قارئها وحاملها إذ هي من سور القرآن الكريم فكان فضلها من فضله؛ ولكنها انفردت عن باقي السور وسميت بقلب القرآن، " فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن لكل شيء قلب، وقلب القرآن يس، ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات⁽³⁾. كما روي عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " يس تدعى المعمة، نعم صاحبها خير الدارين، والدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء تقضي له كل حاجة⁽⁴⁾."

محور السورة: إن أهم المحاور الأساسية التي تناولتها السورة الكريمة في آياتها تتمثل:

_ الإيمان بالبعث و النشور والجزاء

_ قصة أهل القرية

_ الأدلة و البراهين على وحدانية رب العالمين⁽⁵⁾.

¹ - محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، ط1. تونس: 1984، الدار التونسية، ج22، ص:341.

² - نفسه.

³ - أبو الحسن، لباب التأويل، ص:3.

⁴ - ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، ط1. بيروت:1418هـ، دار إحياء التراث العربي، ج4، ص:263.

⁵ - نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط1. جامعة الشارقة، 2010، ج6، ص:295.

المبحث الأول: تكامل علوم العربية ودورها في تفسير القرآن الكريم

أولاً: علوم العربية قبل انفصالها

إنّ العلوم العربيّة في مراحلها الأولى خاصّة أواخر القرن الثّاني وما قبله؛ كانت متداخلة وغير منفصلة عن بعضها من ناحية التّأليف، إذ جمعت المؤلّفات الأولى بين مختلف هذه العلوم ولم تفصل بينها، " وإنّما كانت العلوم والفنون وقتئذٍ متداخلة ... فاللّغة والنّحو والبلاغة كلها كانت بمثابة روافد متعدّدة تصبّ في مجرى واحد " (1)، وذلك أنّها اشتركت في غاية واحدة وهي خدمة القرآن الكريم واللّغة العربيّة حفظاً لهما، فتقاربت بذلك مع علوم أخرى في نشأتها، " فقد ظهر علم التّفسير وعلوم الحديث والفقه والقراءات والنّحو والصّرف والفلسفة وعلم الكلام والمنطق والمعاني وكثير غيرها من العلوم " (2). فنجد أنّ العلماء القدماء كانوا متشعبيّ العلوم إذ برع كلّ منهم في علوم شتى سواء اللّغوية أم العلوم الأخرى خاصّة القرآنية فنتج عن ذلك مؤلّفات غنيّة المعارف شاملة لعدّة قضايا، وهذا الشّمول نلاحظه عند: "سيبويه في الكتاب " و " ابن جنّي في كتابه الخصائص"، واللّذان سارا على نفس درب معاصريهما، فالأصل في "الكتاب لسيبويه " أنّه كتابٌ في علم النّحو؛ لكن المتصفّح له يجده جامع لمختلف العلوم العربيّة منها: علم الصّرف كحديثه على بناء الأفعال في: " باب بناء الأفعال التي هي أعمال تعداك إلى غيرك وتوقعها به ومصادرها " (3)، وعلم الصّوت الذي يظهر جلياً في عرضه للإدغام، إذ خصّ له أبواباً من أجزاء الكتاب المختلفة خاصّة " باب الإدغام " (4)، وهي دراسة صوتية بحثت لأصوات العربيّة بيّن فيها عدد

¹ عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، دط. القاهرة: 1998، دارغريب، ص: 129.

² محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ط1. بيروت: 1980، دار مكتبة الحياة، ص: 78.

³ أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمّد هارون، ط2. القاهرة: 1982، مكتبة

الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي، الرّياض، ج4، ص: 5.

⁴ نفسه، ج4، ص: 431.

حروفها ومخارجها ومهموسها ومجهورها وأحوالهما واختلافهما. وفي " باب ما يحتمل الشّعْر "(1)، تطرّق إلى علم العروض وذكر فيه الضّرورة الشّعريّة وما يجوز في الشّعْر دون سائر الكلام كالحذف وصرف ما لا ينصرف. كما ورد علم اللّغة في الكتاب، إذ نجد أنّ سيبويه بيّن في كتابه معاني عدّة ألفاظ وطريقة وموضع استعمال كل لفظ كـ " باب افتراق فعّلت وأفعلت في الفعل للمعنى "(2)، فمثلاً: " طردته فنحّيته، وأطردته: جعلته طريداً هارباً، وطردت الكلاب الصّيد أي جعلت تنحّيه "(3)، وفي هذا الباب خصّ عدّة صفحات في أجزاء كتابه لبيان هذه الفروق بين الكلمات المتشابهة. وقد اهتمّ سيبويه بالبلاغة وعلومها، والإشارة إلى فنونها في ثنايا الكتاب ويظهر ذلك في بيانه لمواضع الحسن والقبح في الكلام والحرص على الإحاطة بالخصائص البلاغية للأساليب العربيّة، فنجد أنّه في كثير من المواضع يستعمل العبارات: " ما يجوز، ما لا يجوز، يحسن، إنه لا يقال... أو كما جاء في باب " ما لا يجوز أن ينتدب "(4)، وتظهر البلاغة بعلومها أيضاً حين حديثه عن التّقديم والتّأخير والحذف والمواضع التي يجوز فيها ولا يجوز في غيرها... أمّا علم البيان فيتجلّى في تناول التّشبيه والاستعارة والكناية والاستعارة في الحروف والمجاز بالحذف والكناية وإن كانت بمعناها اللّغوي والتّويع. أمّا البديع فقد تعرّض فيه للونين فقط، هما تأكيد المدح بما يشبه الذّم، والتّجريد "(5)، فالكتاب لسببويه نموذج للمؤلّفات اللّغوية التي جمعت بين مختلف العلوم العربيّة. وهناك نوع آخر من المؤلّفات التي جمعت بين العلوم العربيّة والعلوم الدينيّة، كالتفسير والفقه والقراءات...، وهي كتب معاني القرآن ومجازه، ومن بين هذه المؤلّفات ما تختصّ بإعراب

¹ سيبويه، الكتاب، ج1، ص:26.

² نفسه، ج4، ص:55.

³ نفسه، ص:56.

⁴ ينظر: المصدر نفسه، ج2، ص:277.

⁵ عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص:130.

القرآن وغريبه ولغته وكتب معاني القرآن التي جعلت اللّغة العربيّة وعلومها وسيلة بل من أهمّ

الوسائل في تفسيرها للقرآن الكريم وبيان معاني آياته الكريمة. وهذه النماذج إنما تؤكّد لنا أمرين:

أ- موسوعية المعارف والاطّلاع لدى العلماء القدامى وتمكّنهم في علوم العربيّة والقرآن الكريم.

ب- اختلاط العلوم وتداخلها في التّأليف، بين جميع العلوم سواء التي:

- بتمازجها جمعت بين القرآن الكريم واللّغة العربيّة، كيف لا والقرآن من أبرز الأسباب لظهور

الدّراسات اللّغوية، إذ كانت غاية أهل العربيّة فهم القرآن الكريم وتفسيره، وحمایته من أن تدخله

بعض المفاهيم الخاطئة، وكذلك اللّحن في قراءته بعد توسّع رقعة البلاد الإسلاميّة، ودخول الأعاجم

في الإسلام.

- تجانست العلوم العربيّة فيها فيما بينها وهذا لحاجة كلّ علم للآخر، حتى قال السّمين الحلبي:

"ورأيت أن هذه العلوم الخمسة متجاذبة شديدة الاتّصال بعضها ببعض، لا يحصل للتناظر

في بعضها كبير فائدة بدون الاطلاع على باقيها، فإنّ من عرف كون هذا فاعلا أو مفعولا أو مبتدأ

مثلا ولم يعرف كيفيّة تصريفه ولا اشتقاقه ولا كيف موقعه من النّظم لم يحل بطائل، وكذا لو عرف

موقعه من النّظم ولم يعرف باقيها، فلما رأيت الأمر كذلك واطّلت على ما ذكره النّاس في هذه

الفنون " (1). هي نماذجٌ خير دليل من أقوالٍ ومؤلّفات على تكامل المعارف، سواء بين علوم اللّغة

العربيّة والقرآن الكريم وتفسيره أو بين العلوم العربيّة في حدّ ذاتها.

ثانياً: حصول الدّلالة بتكامل معارف علوم العربيّة :

¹ ينظر: أحمد بن يوسف السّمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دط.

دمشق: د س، دار القلم، ج1، ص:5.

اللغة العربية بنية متكاملة، تتكوّن من عدّة مستويات، أصبح كلّ منها بعد انفصال العلوم علماً بحد ذاته، ومن ذلك علم الصّوت وعلم الصّرف وعلم النّحو وفنون البلاغة من معان وبيان وبديع. ولكلّ منها مجال اهتمامه وما يضيفه في الدّراسة اللّغوية، ولكنّ الغاية في وضوح معانيه لا تكون إلّا بتكامله مع معارف علوم العربية الأخرى مجتمعة معاً، فلا يستغني علم عن الآخر.

فالنظام الصّوتي يحقّق المعنى ويؤثر فيه، من خلال توفره على وسائل تؤهله لذلك منها: الحركات الصّوتية إلى جانب مزيتها في تسهيل عملية النطق، وكذا التّفريق بين مختلف المباحث النّحوية من فاعل ومفعول ونعت ومضاف، كذلك لها أثرها الدّلالي في النظام اللّغوي، "حيث إنّها تعدّ منطاً لتقليب صيغ الاشتقاق المختلفة في حدود المادّة الواحدة، إذ لمّا كانت الحروف تتحمل المعنى العام ظهر دور الحركات في تنويع هذا المعنى" (1). فيكون لها أثر على الجانب الصّرفي، خاصّة، وعلى النّظام عامّة. إذ تساهم في تغيير صيغ الكلمات ما يؤدي إلى تغيير المعاني، مثل: "ضرب، ضرب، ضرب" (2). بالإضافة إلى الفونيمات وما لها من أهميّة في التّفريق بين معاني الألفاظ أو تغييرها من خلال ما يُعرف بالاستبدال فجعل حرف مكان الآخر يؤدي بالفعل إلى تغيير الدّلالة مثل ما هو بين: نام وقام.

وعرض العلماء القدامى المباحث الصّوتية في مؤلفاتهم بل استعملوه أداة لدراسة القضايا اللّغوية الأخرى، "فالخليل... اعتمد في تصنيفه للأصوات العربيّة وتحديد مخرجها على الاحياز والمخارج كما اعتبر الدّرس الصّوتي كمدخل لدراسة معجمه الموسوم بـ "العين" (3). وكذلك الشّأن

¹ - علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللّغة العربية دراسة في الصوت والبنية، رسالة علمية مقدّمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة السعودية: 2004، ص: 19.

² - نفسه، ص: 19.

³ - نجية عباو، التحليل الصّوتي والدّلالي للغة الخطاب في شعر المدح " ابن سحنون الراشدي " نموذجاً، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشّلف: 2008. 2009، ص: 20. 21.

بالنسبة للكتاب الذي احتوى مباحث صوتية في مختلف أجزائه، وقد اعتبر كمدخل لدراسة الظواهر صرفية مختلفة "كالإدغام والإبدال والقلب" وغيرها⁽¹⁾. فقد عرض هذه القضايا الصرفية أثناء حديثه عن الحروف من حيث صفاتها ومخرجها. وبهذه المباحث الصوتية وغيرها يكون للصوت وظائف دلالية في النظام اللغوي.

وكذلك النظام الصرفي الذي يقدم عدّة معاني تتنوع بتنوع مجال دراسته واهتماماته، " منها المعنى الذي يُنسب إلى أقسام الكلمة كالاسميّة والفعليّة... ومنها المعنى الذي ينسب إلى عناصر التصريف... ومنها المعاني المتعلقة بالصيغ المجردة... ومنها معاني الزوائد كالتوكيد والتّصغير..."⁽²⁾، وكل قسم من هذه الأنواع إلاّ ويكون له معنى يؤديه دون غيره، "فعلم الصّرف يُمكن اللّغة من خلال الصّيغ والمقابلات أن تفرّق بين الكلمة وغيرها كاعتبار التجردّ مقابل الزيادة والاسميّة في مقابل الفعليّة والتذكير في مقابل التأنيث"⁽³⁾، فهذه الصيغ تقدّم معاني تختلف باختلافها، فالصيغة " فعلان " تدل على الاضطراب والحركة وفاعل على اسم الفاعل وفعل على المبالغة. وبهذا تكون الصيغ " قالبا يمكن أن يصاغ على مثاله عدد لا حصر له من الكلمات"⁽⁴⁾. ولا يمكننا أن نتناسى أهمّ فرع في الدرس الصرفي والمتمثّل في البناء، فالصّرف يدرس بنية الكلمات وأحوالها وبالتالي، تكون له فائدة اتّجاه المعنى خاصّة، واللّغة عامّة " وفائدة اعتبار المبنى في أنظمة اللّغة وفي تعليلها في ضوء هذه الأنظمة؛ أنّ اللّغة لا يمكن أن تكون نظاماً من المعاني

¹ - نفسه، ص: 22.

² - تمام حسان، الأصول دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب النحو- فقه اللغة- البلاغة، دط. القاهرة: 2000، عالم الكتب، ص: 291.

³ - تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، دط. المغرب: 1994، دار الثقافة، ص: 36.

⁴ - تمام حسان، اجتهادات لغوية، ط1. القاهرة: 2007، عالم الكتب، ص: 152.

التي لا مباني لها⁽¹⁾، وما هي إلاّ دلائل على بصمة علم الصّرف في الدّلالة، وما يقدّمه للعربيّة وللعربيّ وغيره من توجيهات وإشارات يتمكّن من خلالها من فهم المعنى والتّفريق بين المعاني المختلفة في كل موضع.

أمّا بالنّسبة للنّحو، فغاية النّحويين هي الوقوف على أساليب التّعبير وفهم الكلام وإفهامه، وقد اهتمّ به النّحويون في مختلف الأزمنة وربطوه بالمعنى، فنجد سيبويه الذي حرص على الإحاطة بالخصائص النّحوية لأساليب العربيّة وبيّن مواضع الحسن والقبح فيها، حتى يحسن التّعبير ويفهم المعنى وتوضّح تلك الفروق المعنوية بين مختلف العبارات والاستعمالات مثل ما جاء في باب منه " استكرهه النّحويون وهو قبيح فوضعوا الكلام فيه على غير ما وضعت العرب"⁽²⁾. وباب " الأفعال التي تستعمل وتلغى " ⁽³⁾، فيبيّن الطريقة الأمثل للتّعبير عن المعنى المراد من خلال وسائل لغوية عدّة، كالنّقد والتّأخير واستعمال صيغة دون الأخرى والأدوات والحروف والحذف وغيرها من الوسائل التي تتميّز بها اللّغة العربيّة. ومن أهمّها الإعراب لما له من مزيّة في التّعبير عن المعنى وبيان مقاصد المتكلم. وقد أدرك العلماء هذه المزيّة، ويظهر ذلك جليّاً من خلال تعريفهم للإعراب ففيه يقول ابن جنّي: " الإبانة عن المعاني بالألفاظ "⁽⁴⁾، فجعل الإعراب نوراً يستضاء به لبيان المعنى ووسيلة إدراكه. وكذلك ما ذهب إليه الجرجاني وما عُرف عنه أنّه جعل الألفاظ معلّقة على المعاني حتى يكون الإعراب فاتحها، وكذلك علامات الإعراب التي تعرب عن مقاصد المتكلم فيفرّق بذلك بين الفاعل والمفعول، وبين النّعت والمضاف بالضمّة والكسرة أو الفتحة على حسب ما يقتضيه المعنى المنشود.

¹ - تمام حسّان، اللّغة العربيّة معناها ومبناها، ص: 38.

² - سيبويه، الكتاب، ج 1، ص: 334.

³ - نفسه، ص: 118.

⁴ - أبو الفتح عثمان بن جنّي، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دط. المكتبة العامّة، ج 1، ص: 16.

وكذلك هو الشأن بالنسبة للبلاغة بعلمها الثلاثة فكّلها تسعى إلى وضوح المعنى وبيانه، ومن أبرز الدّراسات البلاغية ما تقدّم به عبد القاهر الجرجاني في نظرية النّظم، التي ربط فيها بين المعاني والتراكيب النّحوية وكيفية تألفها فيقول في ذلك: " هذا وأمر النّظم في أنّه ليس شيئاً غير توحي معاني النحو فيما بين الكلم وأتّك ترتب المعاني أوّلا في نفسك، ثمّ تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك، وانا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يتصور أن يجب فيها نظم وترتيب، في غاية القوّة والظهور"⁽¹⁾. ونستفيد في بحثنا هذا ممّا قدّمه تمام حسّان من تلخيصه لنظرية النّظم عند الجرجاني فشرحها بالموازاة مع ما سمّاه بالقرائن اللفظية والمعنوية ومن ذلك:

– أنّ النّظم عند الجرجاني هو نظم للمعاني النّحوية في نفس المتكلم لأبناء الكلمات في صورة جملة.

– ما سمّاه عبد القاهر بالفروق هو ما يعرف بالقيّم الخلافية أو المقابلات بين المعنى والمعنى أو بين المبني والمبنى.

– أشار الجرجاني إلى الرّتبة وكذلك النّظام وهو تطّلب إحدى الكلمتين للأخرى .

– البناء: وهو اختيار المباني التي يقدّمها الصّرف للتّعبير عن المعاني النّحوية.

– الترتيب: وهو وضع العلامات المنطوقة أو المكتوبة في سياقها الاستعمالي حسب رتبة

خاصّة.

– تحدث الجرجاني عن التّعليق وهو إنشاء العلاقات بين المعاني النّحوية بواسطة ما يسمّى

بالقرائن اللفظية والمعنوية والحالية⁽²⁾.

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ط1. لبنان: 1988، دار الكتب العلمية، ص349.

² ينظر: تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص: 187. 188.

وهكذا فكلّ علم له مجاله، وإن كان الاختلاف في نوع الاهتمام والطريقة، إلا أنّ هدفهم واحد وهو إيضاح المعنى وبيانه، وكلّ منها يعمل على خدمة المعنى في تكامل وانسجام. وفي هذا يقول تمام حسان: " أنّ المعنى على مستوى النّظام الصّوتي والنّظام الصّرفي والنّظام النّحوي هو معنى وظيفي، أي أنّ ما يسمّى المعنى على هذا المستوى هو وظيفة المعنى التحليلي ثم يأتي معنى الكلمة المفردة "المعنى المعجمي" وما يكون بمجموع هذين المعنيين مضاف إليهما القرينة الاجتماعية " المقام"، وكلّ ذلك يصنع المعنى الدّلالي" (1). فمن خلال هذا القول يتّضح لنا أنّ المعنى الدّلالي لا يتأتّى من علم واحد، وإنّما يكون بتضافر هذه العلوم. فالمستوى الصّوتي يفيد الصّرف وكذلك يستفيد النّحو ممّا يقدّمه علما الصّوت والصّرف بل أنّه يعتمد إليهما كثيرا في الوصول إلى المعنى.

فعلوم العربية تترايط فيما بينها ويحتاج كلّ علم منها إلى الآخر. وهذا ما يؤكّده أكثر المثال الذي قدّمه تمام حسان، حينما ميّز بين المفعول لأجله والمضاف إليه في سبيل إظهار ما للصّوت والصرف من مزية في خدمة النّحو والمعنى، وما يختصّ به كلّ مستوى حتى يتحقّق المعنى بالجمع بين نتائج هذه العلوم " فالأول يعبر عن العلاقة السببية والثاني للنسبة، ومن ناحية الصيغة يشترط في الأول أن يكون مصدرا وليس كذلك في الثاني، وأمّا الحركة الإعرابية فالمفعول لأجله منصوب فأما المضاف إليه فمجرور، ومعنى اللام فهي في الأول للسببية. أمّا في الثاني فللملكية" (2). ومثلما للنحو علاقة بالصّوت والصّرف، كذلك علم النّحو في علاقته بالعلوم البلاغية. وذلك أن اللّغة كلّ متكامل يرتبط بعضها ببعض.

¹ - نفسه، ص: 182.

² - ينظر: تمام حسان، اللّغة العربية معناها ومبناها، ص: 37.

ومن هنا يظهر مدى تكامل معارف علوم العربية وخدمة بعضها لبعض من جهة، ومن أخرى مدى حاجة واعتماد كل علم للآخر. فالتحو يعتمد على الصّرف من خلال المعاني والصّينغ التي يقدّمها، وعلى الصّوت من خلال دلالة الحروف والحركات وأيضا في اعتماد الصّرف على الصّوت وما يوجد من ترابطه بين النّحو والبلاغة خاصّة في علم المعاني.

ثالثاً: دور اللّغة العربيّة في تفسير القرآن الكريم

لقد أنزل القرآن الكريم بلسان عربي مبين وظهر ذلك في القرآن العظيم في آيات عدّة. منه قوله

جلّ في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ إِذْ تَقُولُونَ أَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَقَدْ كُنَّا أَشْهَرُ النَّاسِ بِأَلْفَاظِهِمْ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ تَلَوُّنًا لِيُحَدِّثَ الَّذِينَ نَسُوا﴾⁽¹⁾ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ إِذْ تَقُولُونَ أَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَقَدْ كُنَّا أَشْهَرُ النَّاسِ بِأَلْفَاظِهِمْ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ تَلَوُّنًا لِيُحَدِّثَ الَّذِينَ نَسُوا﴾ فصلت

الآية:03. إذ أنزل الله تعالى القرآن الكريم بلغة قوم نبيّه الذين برعوا في أساليبها واشتهروا ببلاغتهم وفصاحتهم فيها، حتى يفهموا ما حمله هذا الكتاب ويدركوا إعجازه، وفي ذلك قال المولى عزّ وجل:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ يُعَذِّبُكُمُ اللَّهُ إِذْ تَقُولُونَ أَنَّهُ قَدْ أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْكِتَابَ بِالْعَرَبِيَّةِ وَقَدْ كُنَّا أَشْهَرُ النَّاسِ بِأَلْفَاظِهِمْ وَأَنزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ تَلَوُّنًا لِيُحَدِّثَ الَّذِينَ نَسُوا﴾ إبراهيم الآية:03. إذ " نزل بلغة العرب وعلى عادتهم في التّخاطب فمن أراد

فهمه فهما سليما بعيدا عن كل شطر وانحراف فليتلح بعلم اللّغة وليتظنّع من أدواتها ما استطاع "

(1).

⁻¹ محمد درّاجي، محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، ط1. الجزائر: د س، دار عبدني، ص:231.

وهذا ما يبيّن أهميّة هذه اللّغة وشرفها وما قدّم لها القرآن الكريم والدين الإسلاميّ من مكانة دينيّة، وأشار النبيّ صلى الله عليه وسلّم لذلك في قوله: " أحبوا العرب لثلاث لأنّي عربيّ والقرآن عربيّ وكلام أهل الجنة عربيّ " (1). فكانت اللّغة العربيّة وعاء شرف حمل معاني القرآن الكريم وصار محلّ اهتمامهم وغايتهم. فعمدوا إلى فهمها واكتشاف أسرارها حتّى تكون وسيلة لفهم معاني القرآن الكريم واستنباط أحكامه، ونزول القرآن بلسان عربيّ فيه حكمة عظيمة لما تتميز به هذه اللّغة من أسرار وخصائص سواء ما تعلق بها من سمات، أو ما تعلق بعلمها وما يقدمه كلّ جانب من هذه الجوانب. ومن أهمّ هذه الخصائص:

. السّعة : وذلك " لكثرة أبنيتها، وتعدّد صيغها ومرونتها على الاشتقاق وانفساحها من ذلك إلى ما يستغرق اللّغات ويحتملها " (2)، وكذلك ما تملكه اللّغة العربيّة من وسائل ساعدت في نموّها كالاشتقاق والنّحت، والاقتراض والتّركيب...إضافة إلى مزاياها ومرونتها.

. الاقتصاد: فاللّغة العربيّة أميل منها إلى إيراد المعاني بألفاظ أقلّ ومما يحقّق ذلك نجد: " الإيجاز أي المجيء بالمعنى الكثير في اللفظ القليل...ويظهر الاقتصاد ثانيًا في الإعراب... فالإعراب ضرب آخر من ضروب الاقتصاد اللّغوي، لأنّه من جهة، تعبير بالحركات عن الأغراض والمعاني، ومن جهة أخرى هو تكثير للمعاني من غير لجوء إلى تكثيف الألفاظ " (3) فهي بهذا تجمع بين الأسلوب والمعنى.

¹ أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2. القاهرة: 1935، دار الكتب المصرية، ج1، ص:30.

² مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ط1. المنصورة: 1997، مكتبة الإيمان، ج1، ص:145.

³ فضيلة جوهرى، القرآن الكريم بين الفهم والتفسير والتأويل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر: 2006، 2005، ص:37، 39.

. التّصوير: " والعربيّة في ذلك ذاهبة بالحظر الوافر، وأخبار الشعراء والخطباء وآثارهم دليل على مطاوعة اللّغة لهم في منحاهم ذلك، ومبنى التّصوير على تجاوز الحقيقة واستعارة ألفاظ لمعان لم توضع لها " (1)، ويظهر ذلك جلياً من خلال الاستعارات، والتشبيهات وغيرها من الأساليب التي تقرب المعنى وتنقله من المجرد إلى المحسوس ودقّتها في التّعبير عن أجزاءه. وللّغة العربيّة عدّة فروع تتكامل الدّلالة فيها بتكامل معارف هذه الفروع معاً، وبهذا يكون لها القدرة على خدمة القرآن وتحيطه دراسة من كلّ الجوانب الصوتيّة والصرفيّة والنحويّة والبيانيّة والبلاغيّة، ولهذا عدّها العلماء من أهمّ شروط المفسّر بدءاً بالجانب المفرداتي منها وصولاً إلى التّراكيب والأساليب " فالرسول صلّى الله عليه وسلّم بيّن معاني بعض الألفاظ الغريبة إلى جانب شرح المعنى العام وبيان المناسبة، روي أنّ أعرابياً سأله عن معنى الظلم في قوله تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِمْ مِنْهُ نَسْفٌ وَلَا ذَرَفٌ وَلَا يَمَسُّهُمْ الْحَسْفُ﴾ (2)، كما حدّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم على الإعراب الذي تميّز به اللّغة العربيّة إذ قال عليه الصلاة والسلام " أعرّبوا القرآن والتمسوا غرائبه " (3). وهذا لأهميّة الإعراب في بيان المعنى، إذ به تعرف وجوه الاختلاف ومثال ذلك تفسير كلمة الحمد من سورة الفاتحة " الحمد " رفع بالابتداء... ويجوز في الحكم أن تقول " الحمد " تريد أحمد الله الحمد فاستغنيت عن ذكر " أحمد " لأنّ حال الحمد يجب أن يكون عليها الخلق، إلّا أنّ الرفع أحسن وأبلغ في الثناء على الله عزّ وجلّ "

¹- عزيز كعواش، خصائص المنهج اللّغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قسنطينة: 2000، 1999، ص: 39.

²- محمود أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير، ط1. سورية: 2001، دار الفكر، ص: 23.

³- أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص: 30.

(1)، فمن خلال الإعراب تبيّن الفرق في المعنى بين الرّفْع والنّصْب، كما مكّننا من معرفة الوجه الحَسَن من الكلام الذي يليق بهذا المقام وهو الثّناء على الله عزّ وجلّ ووجه البلاغة فيه.

المبحث الثاني: ترجمة موجزة للمؤلف "السّمين الحلبيّ"

¹ الزجاج أبو اسحاق ابراهيم بن السّري، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1. بيروت: 1988، عالم الكتب، ج1، ص:45.

أولاً: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته:

هو الإمام شهاب الدّين أحمد بن يوسف بن مسعود، الشهير بالسّمين الحلبي، ثم المصري.

أمّا تلقيبه بالحلبي نسبة إلى مدينة حلب، حيث ولد ونشأ فيها.

أمّا المصري لنزوله على بلاد مصر، حيث استقر فيها، وألف ودرّس ونبغ.

فأمّا السمين فلم تذكر كتب التراجم سببا لتلقيبه بهذا الاسم. ويكنّى بأبي العباس، ولم تذكر كتب

التراجم سبب ذلك، بل ولم تتناول أحواله العائلية، ولم تذكر أنه كان له ولد يسمى بالعباس " (1).

ثانياً: مولده ونشأته العلمية:

لم تذكر كتب التّراجم تاريخ مولده، ولكنّها ذكرت نشأته العلميّة، وأنّه بدأ طلبه للعلم وتكوّنه فيه في

مدينة حلب، التي ينسب إليها، وفيها لقب بالسّمين، ثمّ انتقل إلى مصر، حيث ازداد نبوغه في العلم

بين طلبه للعلم ونشره، والمراكز الرّفيعّة التي تقلّدها، فقرأ النّحو على أبي حيّان، والقراءات على ابن

الصّائغ، وسمع بآخره من يونس الدبابيسي، وسمع وولي تصدير إقراء النّحو بالجامع الطولوني،

وأعاد بالشافعي، وناب في الحكم بالقاهرة، ووليّ نظر الأوقاف بها " (2). فبرع في علم القراءات،

حيث درسها كما تشير كتب التّراجم، بل من يطّلع على كتابه "الدّرّ المصون" يتّضح له أنّه من

علماء هذا العلم الصّعب المنال، الذي يحتاج طالبه الصّبر وحسن النّباهة والفتنة، ثمّ فإنّ له كتابا

خصّصه في هذا الفنّ وهو كتاب "شرح الشاطبية"، وهو كتاب لم يسبق إلى مثله في بحث المسائل

¹ - ينظر: أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1. لبنان: 1997، دار الكتب العلمية، ج:4، ص: 224. أبو بكر بن أحمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية،

تح: الحافظ عبد العليم خان، ط1. بيروت: 1407هـ، عالم الكتب، ج3، ص: 19.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص: 152.

وتدقيق النَّظر فيها، كما قال الإمام ابن الجزري⁽¹⁾. هذا ممّا يبرز أن نشأته العلميّة كانت حافلة بالأخذ عن علماء كبار برعوا في علوم اللّغة والتّفسير والقراءات والأصول وغيرها، وأبرزهم ما ذكرته كتب التّراجم وهم ثلاثة: ابن حيّان، وابن الصّائغ، ويونس الدبابيسي.

ثالثاً: آثاره العلميّة:

وآثاره العلميّة تكمن في مؤلّفاته ودروسه التي كان يلقيها على طلبة العلم بمصر موطن استقراره، حيث تولّى فيها العديد من المناصب الرّفيعة⁽²⁾. فتصدّر للإقراء بجامع ابن طولون، وناب في الحكم بالقاهرة، وولّى نظر الأوقاف، قال تقيّ الدين ابن قاضي شهبة: "صنّف تصانيف حسنة منها تفسير القرآن مطول وقد بقي منه أوراق قلائل قال الحسيني في عشرين سفراً وإعراب القرآن سمّاه الدّرّ المصون في أربعة أجزاء ومادّته فيه من تفسير شيخه أبي حيّان إلّا أنّه زاد عليه وناقشه في مواضع مناقشة حسنة، وأحكام القرآن، وشرح التّسهيل شرحاً مختصراً من شرح أبي حيّان وشرح الشاطبيّة قال: الأسنوي كان فقيهاً بارعاً في النّحو والتّفسير وعلم القراءة ويتكلم في الأصول خيراً ديباً"⁽³⁾.

رابعاً: مؤلّفاته:

1 . تفسير القرآن: وسبق كلام ابن قاضي شهبة: "قد بقي منه أوراق قلائل قال الحسيني في عشرين سفراً".

2 . في إعراب القرآن: حيث سمّاه "الدّرّ المصون في علوم الكتاب المكنون المكنون"، حيث "أطال فيه جداً؛ حتّى جاء في عشرين سفراً كباراً"، وهو الكتاب الذي نعى بدراسته في هذا

¹ - شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1. رجستراسر: 1351هـ، مكتبة ابن تيمية، ج1، ص: 152.

² - أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص: 224.

³ - أبو بكر بن أحمد، طبقات الشافعيّة، ج3، ص: 19.

البحث، وسيأتي التعريف به وبمنهج السّمين الحلبيّ فيه في المبحث الثالث، حيث أتمه وفرغ من تصنيفه سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، أي قبل وفاته باثنتين وعشرين سنة، فهو توفي سنة ست وخمسين وسبعمائة*.

3. كتاب " شرح التسهيل ": وهو كتاب ألفه في مصنفين سمّى الأول بالشرح الكبير والثاني بالشرح المختصر، وهو كتاب اقتبسه من شرح شيخه أبي حيان " (1).

4. كتاب " شرح الشاطبية ": واسم الكتاب: " العقد النّضيد في شرح القصيدة الشاطبية "، الموسومة بحرز الأمان، وهو كتاب لم يطبع، إلا أن صاحب كتاب كشف الظنون، قال في وصفه للكتاب المخطوط: " أوله الحمد لله ..."، مما يدلّ على وقوفه وإطلاعه عليه " (2). وغيرها من المؤلّفات، ولم نقف على سردٍ لأسماء تلاميذه في كتب التراجم.

خامسا: وفاته:

تُوفّي العلامة شهاب الدّين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمّد الحلبيّ النّحويّ المقرئ الفقيه الشّافعي؛ المعروف بابن السمين في عاشر جمادى الآخرة، أو في أواخر شهر شعبان سنة ست وخمسين وسبعمائة " (3). وعلى ما نراه من الاختلاف في تحديد شهر وفاته فإنّ الأقرب إلى الصواب الاعتماد على كلام من هو الأقرب إلى زمانه، فقد ذكر الإمام الأسنوي في كتابه "طبقات الشّافعية": وفاته في عاشر جمادى الآخرة" (1).

* - وذلك بالمقارنة بين سنة فراغه من تأليفه وسنة وفاته، وسيأتي تاريخ وفاته في المطلب الرابع.

¹ - ينظر: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداودي المالكي، طبقات المفسرين، د ط. بيروت: د س، دار الكتب العلمية، ج1، ص:101.

² - ينظر: حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، د ط. بغداد: 1941، مكتبة المثنى، ج1، ص:648.

³ - أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج4، ص:224. أبو بكر بن أحمد، طبقات الشافعية، ج3، ص:19.

فكان رحمه الله فقيهاً بارعاً في النُّحو والنِّقْصِر، وعلم القراءات، وتكلم في علم الأصول، والفقهِ وكان خيراً ديناً، واجتهد في التصنيف والتدريس، فبرع في علم العربية والتفسير، كما سيتبين من خلال كتابه " الدر المصون في علوم الكتاب المكنون ".

المبحث الثالث: التّعريف بالمؤلف " الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون":

أولاً: اسم الكتاب وقيّمته ومنهجه فيه:

1.1- اسم الكتاب: هو كتاب " الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون "؛ وذكر محقق الكتاب

الدكتور أحمد محمد الخراط ما وقع من اختلافاً عند المترجمين والنسّاخ في عنوان الكتاب، ووصفه

² ينظر: أحمد بن علي بن عبد القادر، المصدر السابق، ج4، ص:224. أبو بكر بن أحمد، المصدر السابق، ج2، ص:513.

بالاختلاف الطفيف حيث ذكر البعض منهم أنّه " الدرّ المصون في إعراب الكتاب المكنون"، والبعض " الدرّ المكنون في علم الكتاب المكنون"، والبعض يسميه كما مرّ في المبحث الثالث، "إعراب القرآن"، ورجح المحقق وهو الصواب ما ذكرته، وهو "الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون"؛ وسبب هذا التّرجيح أنّ المحقّق اعتمد على نسخة خطيّة بخط يد المؤلّف، ومعلوم عند المحقّقين إذا جاء النصّ عن المؤلّف بخط يديه قدّم على غيره⁽¹⁾.

1. 2- قيمة الكتاب العلميّة: للكتاب قيمة كبيرة تتمثل في أمرين:

أ- قيمته في علوم اللغة العربيّة وعلم التفسير: ولم يقتصر على علم الإعراب كما قد يتوهّمه البعض ممّن ترجم للإمام السّمين الحلبي، حيث قال ابن حجر العسقلاني في سرده لمصنّفاته: "والإعراب سمّاه" الدرّ المصون" في ثلاثة أسفار بخطّه⁽²⁾. وقال الداوودي: و" إعراب القرآن سمّاه " الدرّ المصون " في أربعة أجزاء ألفه في حياة شيخه أبي حيّان إلّا أنّه زاد عليه، وناقشه في مواضع مناقشة حسنة⁽³⁾. إذ الإعراب هو من جملة علوم اللّغة العربيّة، وهو من خصائصها، بل من أشدّها هذه الخصائص وضوحًا؛ ومن هنا يمكن إبراز قيمة الكتاب في أنّه من أهمّ المصادر التي تناولت مختلف العلوم العربيّة بالبحث، وربط كل ذلك بأثرها في تفسير القرآن الكريم، ومن خلال كلامه في مقدّمة كتابه نستشّف هذه القيمة، حيث تعقّب على من صنّف في الدّراسات القرآنيّة، ولم تكن تلك الدّراسات جامعة لمختلف هذه العلوم المتداخلة والمتكاملة، فأراد بمؤلّفه " الدرّ المصون " الاستدراك عليهم، وإضافة بعض المباحث المتعلّقة بعلوم اللّغة العربيّة في مصنّف واحد جامع، حيث يقول في مقدمته: " ورأيت أن هذه العلوم الخمسة متجاذبة شديدة الاتصال بعضها ببعض لا

¹ ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج1، ص:18.

² ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2. الهند: 1972، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ج1، ص: 403.

³ ينظر: الداوودي، طبقات المفسرين، ج1، ص:102.

يحصل للناظر في بعضها كبير فائدة بدون الاطلاع على باقيها، فإنّ من عرف كون هذا فاعلا أو مفعولاً أو مبتدأ مثلاً ولم يعرف كيفية تصريفه ولا اشتقاقه ولا كيف موقعه من النّظم لم يحلّ بطائل، وكذا لو عرف موقعه من النّظم ولم يعرف باقيها، فلمّا رأيت الأمر كذلك واطّلت على ما ذكره النّاس في هذه الفنون، ... استخرت الله الكريم القويّ المتين في جمع أطراف هذه العلوم آخذاً من كل علم بالحض الوافر" (1). ويبقى أن هذا الكتاب هو ممّا أفنى فيه رحمه الله حياته، فهو نتيجة لسنوات طوال من الجدّ والاجتهاد، فقال: " وهذا التّصنيف في الحقيقة نتيجة عمري وذخيرة دهري " (2). ومن خلال كلام بعض العلماء في وصف هذا الكتاب نستخلص قيمته العلمية إذ قال ابن حجر العسقلاني في سرده لمصنفاته: "والإعراب سمّاه "الدرّ المصون" في ثلاثة أسفار بخطّه، صنّفه في حياة شيخه وناقشه فيه مناقشات كثيرة غالبها جيّدة" (3).

ب- مناقشاته للعلماء والمفسرين: فهذا الكتاب كان من زمن شيخه أبي حيّان، حيث كان ينقل عنه، ويصفه بالشيخ أو شيخنا، في كلّ مرّة نقل عنه أو ذكره، وكان مع نقله لكلامه يناقشه فيه. وهذا يدلّنا على أنّه لم يكن مجرد ناقل؛ بل محقّق ومناقش وموجّه. ومن أمثلة ذلك في هذا الكتاب:

- مناقشته لمن تعقّب ابن عطية في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَبْعَثُكَ فِي سِحْرِ الْمَلِكِ﴾ (3) ﴿يَوْمَ نَبْعَثُكَ فِي سِحْرِ الْمَلِكِ﴾ (2) ﴿يَوْمَ نَبْعَثُكَ فِي سِحْرِ الْمَلِكِ﴾ (1) حيث قال ابن عطية: " وكم هنا خبرية، و" أنهم "

بدل منها، والرؤية بصرية ". فتعقّب الشيخ قائلا: " وهذا لا يصحّ، لأنّها إذا كانت خبرية كانت في

¹ ينظر: السّمين الحلبيّ، الدرّ المصون، ج1، ص:5.

² ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص:6.

³ ينظر: ابن حجر العسقلاني، الدرّ الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج1، ص:304.

موضع نصبٍ بأهلكنا. ولا يصوغ فيها إلا ذلك. وإذا كانت كذلك امتنع أن يكون "أنهم" بدلا منها لأنّ البدل على نية تكرار العامل ولو سلّطت أهلكنا على "أنهم" لم يصح؛ ألا ترى أنك لو قلت: أهلكنا انتفاء رجوعهم، أو أهلكنا كونهم لا يرجعون، لم يكن كلاما، لكنّ ابن عطية توهّم أنّ "يرؤا" مفعولُه "كم" فتوهم أنّ قوله تعالى: ﴿...﴾ ②◆③ بدل منه؛ لأنه يسوّغ أن يسلّط عليه فتقول: ألم يروا أنهم إليهم لا يرجعون. وهذا وأمثاله دليل على ضعفه في علم العربية، وهنا ردّ عليه السمين الحلبي قائلا: " وهذا الإنحاء تحامل عليه؛ لأنّه لقائل أن يقول: "كم" قد جعلها خبرية، والخبرية يجوز أن تكون معمولةً لما قبلها عند قومٍ، فيقولون: "ملكْتُ كم عبدٍ" فلم يلزم الصدر، فيجوز أن يكون بنى هذا التوجيه على هذه اللّغة وجعل "كم" منصوبةً بـ "يرؤا" و "أنهم" بدلٌ منها، وليس هو ضعيفاً في العربية حينئذٍ" (1).

- تعقبه على الزمخشري وموافقته لشيخه والزيادة عليه بالشرح والإيضاح: إذ قال في قوله تعالى: ﴿...﴾

وفي "نسلخ" أن يكونا صفتين للأرض واللّيل، وإن كانا مُعرّفين بأل؛ لأنّه تعريفٌ بأل الجنسية، فهما في قوّة النكرة وردّه الشيخ. أي: أبي حيّان؛ بأنّ هذا فيه هدماً للقواعد: إذ لا تنعتُ المعرفةً بنكرة، قال: وقد تبعه على ذلك ابن مالك. ثم حَرَج الشيخُ الجملَ على الحال أي: الأرضُ مُحيأةٌ، واللّيلُ مُنسلخاً منه النَّهارُ. قلت: وقد اعتبر النحاة ذلك في مواضع، فاعتبروا معنى المعرف بأل

¹ ينظر: السمين الحلبي، الدّر المصون، ج9، ص:261.

الجنسية دون لفظه، فوصفوه بالنكرة الصريحة نحو: "بالرَّجُلِ خَيْرٍ مِنْكَ" على أحد الأوجه، وقوله:

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ سَاقِطًا﴾ العصر الآية: 3 ، بعد ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ سَاقِطًا﴾

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ سَاقِطًا﴾ العصر الآية: 2. وقوله: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ سَاقِطًا﴾

﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ النُّجُومِ سَاقِطًا﴾ العصر الآية: 31 و" أهلك الناس الدينارُ الحمزُ والدرهمُ

البيض ". كلُّ هذا رُوعي فيه المعنى دون اللفظ، وإن اختلف نوعُ المراعاة. ويجوز أن يكون "

أحييناها " استئنافاً بيِّن به كونها آية" (1).

ومن أبرز ما يظهر قوته العلمية دقته في توثيق الأقوال ونسبتها إلى أصحابها، وإلى الكتب التي

ينقل عنها، وستقتصر في هذا المطلب على مصادره في سورة يس، إذ هي المختارة كنموذج

للبحث، فبعد القراءة المتأنية لمباحثه في سورة " يس " يتضح لنا مصادره على النحو التالي:

- "الحجة في القراءات السبع" الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله

- "الإملاء" لأبي البقاء.

- "البحر المحيط" لشيخه أبي حيان: ويعتبر هذا الكتاب من أهم مصادره، إذ صاحبه من

أشهر وأبرز شيوخه، حيث كان ينقل عنه ويتعقبه في كثير من المواضع.

- "الكتاب" أبو بشر بن عثمان بن قنبر، الملقب بسبيويه

- "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل" الزمخشري: حيث كان ينقل عنه ويتعقبه في العديد

من المسائل.

- "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" لأبي الفتح عثمان بن جني

الموصللي.

¹- ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص:266.

- "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي.
 - "المساعد على تسهيل الفوائد" لابن مالك.
 - "المشكل لأعراب القرآن" لمكي بن أبي طالب.
 - "تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن" لمحمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري.
 - "مفاتيح الغيب" لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي.
 - "الجامع لأحكام القرآن" لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي.
 - "جمهرة الأمثال" لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري.
 - "مجاز القرآن" لأبي عبيدة.
 - "مجمع الأمثال" لأبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري.
 - "معاني القرآن وإعرابه" لإبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج.
 - "معاني معاني القرآن" لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء.
- 3.1 - منهجه:** وهذا قسّمناه إلى قسمين، قسم يبيّن طريقة عرضه للقضايا والآيات، وآخر يبيّن طريقته في التفسير. وسنعرض لكلّ منهما على حدة.

1.3.1 - منهجه في عرضه للقضايا والآيات: وقال رحمه الله مبيّنًا لمنهجه: " إذا عرضت قاعدة

كليّة من قواعد هذه العلوم أو ضابطا لمسألة منتشرة الأطراف ذكرت ذلك؛ محررا له من كتب القوم، ولا أذكر إلا ما هو المختار عند أهل تلك الصنّاعة، وإذا ذكرت مذهبا لأحد من أهل العلم فقد يحتمل هذا الكتاب ذكر دلائله والاعتراضات عليه، والجواب عنه؛ فأذكره، وقد لا يحتمل فأحيله على كتب ذلك العلم"⁽¹⁾. كما تعرض للقراءات حيث قال: " تعرضت للقراءات المشهورة والشاذة وما ذكر الناس في توجيهها " ⁽²⁾. وبين كل وجه غريب من الإعراب وإن كان واهيا، حتى لا يغتر به من اطّلع عليه. كما ذكر الكثير من المناقشات الواردة على ثلثة من العلماء: كالزّمخشري، وابن عطية وأبي البقاء، والمهدوي ومكي والنحاس دون غيرهم، مبررا ذلك بأنهم أعنى الناس بما قصده وأغناهم "⁽³⁾. أمّا في عرضه للآيات، فقد بدأ قوله بذكر الآية، ثم يشرح ما يحتاج إلى شرح من الألفاظ من ناحية اللغة والاشتقاق والمعاني، وما تحتمله من دلالات، بالشواهد والأدلة، ثم يبين القراءات على نحو مجمل، ثم يأتي لتفصيل مباحثها، مع ذكره لما يترجح عنده في الغالب، ثم يعرب الآية ويبين أقوال العلماء فيها بالمناقشة والتّعقيب في الكثير من المواضيع، ثم يرجّح ما اختاره بعد كلّ هذا.

2.3.1- منهجه في التفسير: أمّا عن منهجه المتّبع في تفسير الكتاب العزيز من خلال " الدر

المصون "؛ فيعدّ هذا الأخير من الكتب التي جمعت بين اللّغة والتّفسير، وهذا مرتبط الفرس في الإشكالية التي طرحناها للإجابة عنها، لذا فإنّ بيان منهجه متوقف على بيان منهجه في علوم اللّغة والتّفسير.

¹ ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج1، ص:6.

² ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص:6.

³ ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص:6.

أ- منهجه اللّغوي:

من المعلوم عند المتخصصين في علوم اللغة أنها تقوم على مدرستين رئيسيتين هما مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة وهذا ما بيّنه محقق الكتاب " أحمد محمد الخراط "، حيث قرر أن السمين الحلبي كان على مذهب المدرسة البصريّة وإن لم يكن يصرح بانتمائه لها، ولكن اختياراته الموافقة لاختيارات هذه المدرسة تُظهر ذلك، ولتبرير اختياره استعان ببعض النماذج التي وافق فيها علماء مدرسة البصرة وفي رده على رأي من أراء الكوفيين مثاله " عندما رأى الزّمخشري أنّ الألف واللام في قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ هي عوض من مضاف إليه محذوف، وتقدير أسماء مسميات، يرد عليه بقوله: " وفي قوله نظر، لأن الألف واللام لا يقومان مقام الإضافة عند البصريين " (1).

ب- منهجه التفسيري:

من أبرز مناهج التفسير " التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي "؛ ولا يمكن بيان اتجاهه إلا بعد النّظر في قضايا كتابه هذا، لذا اخترنا بيان معنى التفسير بالمأثور ثم التفسير بالرأي، ومن ثمّة نبين اتجاهه التفسيري.

مناهج التفسير: تنقسم مناهج التفسير إلى قسمين: قسم يكون له مصادر يرجع إليها المفسر ويستند عليها في تفسير القرآن وقسم آخر يتوقف على اجتهاده في التفسير بعد أن استوفى شروطه وتمكن في علوم عدة.

فالقسم الأول: هو ما يسمى بالتفسير بالمأثور فيكون "طلبه أولاً من القرآن...فإن أعياه ذلك طلبه من السنة... فإن لم يجده في السنّة رجع إلى أقوال الصحابة... فإن لم يجد عن أحد من الصحابة

¹ - السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون، ج1، ص: 35.

رجع إلى أقوال التابعين⁽¹⁾. فنجد أن هذا القسم هو أفضل التفسير وأعلاه وذلك لما يستند عليه في التفسير فهو "إما أن يكون تفسيراً للقرآن بكلام الله تعالى فهو أعلم بمراده، وإما أن يكون تفسيراً بكلام الرسول صلى الله عليه وسلم فهو المبين لكلام الله تعالى، وإما أن يكون بأقوال الصحابة فهم الذين شاهدوا التنزيل"⁽²⁾.

أما القسم الثاني: فهو التفسير بالرأي والذي ينقسم إلى قسمين محمود ومذموم والتفسير بالرأي: "عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد بعد معرفة المفسر لكلام العرب ومناهجهم في القول، ومعرفته للألفاظ العربية ووجوه دلالاتها، واستعانته في ذلك بالشعر الجاهلي ووقوفه على أسباب النزول، ومعرفته بالناسخ والمنسوخ من آيات القرآن، وغير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسر"⁽³⁾. وهذا هو الجزء المذموم من التفسير بالرأي؛ فأما المذموم منه فهو ما لم تتوفر فيه هذه الشروط، فالمحمود منه هو "التفسير المستمد من القرآن ومن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان صاحبه عالماً، باللغة العربية، خبيراً بأساليبها، عالماً بقواعد الشريعة وأصولها"⁽⁴⁾. ولأنّ المفسر في هذا التفسير يجتهد في فهم القرآن ويبدل جهده في ذلك عدّه العلماء جائزاً بحكم أن في القرآن الكريم "من الآيات التي تدعو إلى التدبر في القرآن وإعمال الذهن في آياته، والتذكر... واستدلوا بدعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"⁽⁵⁾.

¹ - جلال الدين السيوطي، التحبير في علم التفسير، تح: زهير عثمان علي نور، ط1. قطر: 1995، إدارة الشؤون الإسلامية، ص: 532.534.

² - فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط4. 1419، مكتبة التوبة: ص: 71.

³ - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ط7. دس، القاهرة، مكتبة وهبة، ج1، ص: 183.

⁴ - فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ص: 79.

⁵ - نفسه، ص: 80.

هذه أهم الشروط التي وضعها واتفق عليها أغلب علماء التفسير، وفي هذا الصدد تجدر بنا الإشارة إلى أهمية اللغة العربية وعلومها في التفسير بل جعل مدى إتقانها معيارا للترجيح بين التفاسير والاعتماد على أحدها دون الآخر وتصنيفها بين محمودٍ ومذموم. وعموما فإنّ التفسير بالرأي "المحمود منه والمذموم" اختلف العلماء في حكمه بين مجيزٍ له ورافضٍ وكلٌّ له حجته ودليله على رأيه.

وعلى هذا التقسيم لمناهج التفسير يمكننا أن نستنتج منهج "السمين الحلبي في درّه المصون" فالمدقق فيه يرى كثرة المباحث اللغوية، خاصة الإعراب الذي ساعده في الوصول إلى معنى الآيات وترجيح الأقوال وتوجيه القراءات، كما ظهر منهجه في حديثه عنه ثانياً مقدمته كما سبق وأشرنا.

من خلال دراستنا النظرية الموسومة بعلاقة العلوم العربية بالقرآن الكريم، التي عرضنا فيها بعض المسائل المتعلقة بموضوع البحث نظرياً، رأينا أن نلخصها في هذه الأسطر ليتسنى للقارئ استيعاب أهم ما جاء فيه، ومنها أنّ:

- مصطلح "علم" ورد في لسان العرب بعدة معاني منها: "الدلالة على الصفة، فنقول: " عالمٌ وعليمٌ"، وتعليمٌ، والدلالة على النسبة فنقول: "العلم والعلامة". كما يعني مجموعة من الأسس والمبادئ التي يبني عليها علم من العلوم.

- وردت لفظة "العربية" في المعاجم على أنّها لغة قوم من الأمم وتعني في معجم لسان العرب أنها لغة عربية يُعبّر بها عن اللسان العربي.

- علوم العربية هي معرفة الأصول والمبادئ والأسس التي توصلنا إلى معرفة اللغة العربية في جميع مستوياتها: الصوتية، الصرفية، النحوية والتركيبية وهي الحافظ الأمين للغة العرب ومن أهم

هذه العلوم نذكر: " علم الصرف، علم الإعراب، علم البلاغة، علم اللغة، العروض والقوافي، الإنشاء والخطابة وتاريخ الأدب " .

- ورد مصطلح التفسير في المعاجم بمعاني متقاربة توحى إلى دلالة واحدة، وهي الإيضاح والبيان والبروز.

- اختلف العلماء في تعريف التفسير وكلّ حسب وجهة نظره، ومن بين هذه التعريفات أنه: " علم يهتم بألفاظ القرآن الكريم " .

- يدل مصطلح " القرآن " في المعنى اللغوي على القراءة، التلاوة والإلقاء، وهو على وزن "فعلان" كالغفران والشكران.

- القرآن في معناه الاصطلاحي: هو الكتاب المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، الجامع لأمر الدين والدنيا.

- العلوم العربية قبل انفصالها كانت متداخلة من ناحية التأليف، إذ كانت تصب في مجرى واحد وذلك لانتقائها في غاية واحدة وهي خدمة القرآن الكريم.

- تتميز اللغة العربية بعدة علوم يختص كل علم منها بمستوى من مستوياتها وكلّ علم وكيف يخدم النظام اللغوي من جهة ويؤثر في المعنى من جهة أخرى.

- يرتبط المستوى الصوتي بالمعنى ويخدمه من خلال عدة وسائل كالحركات الصوتية والخاصية الاستبدالية للحروف وما لكل ذلك من أثر في الدلالة.

- للعلم الصرفي وظائف دلالية في النظام اللغوي تتعدد بتعدد فروع اهتماماته كالبنية والاشتقاق والصيغ...

- أما النحو فالغاية فيه الوقوف على أساليب التعبير وفهم الكلام وافهامه وهذا أول ارتباطاته بالمعنى بالإضافة إلى ما يتميز به من مباحث في حد ذاته للدلالة كالإعراب مثلاً.
- للبلاغة علوم ثلاث تسعى لوضوح المعنى وبيانه، كما تعتبر نظرية النظم للجرجاني من أهم الدراسات التي جسّدت هذه الغاية.
- تتداخل العلوم العربية فيما بينها وتتكامل حتى يحصل المعنى المراد.
- ترتبط اللّغة العربية بالقران الكريم وشرفت بخدمته. ولهذا تقاربت مع علوم أخرى : كالتفسير والحديث والفقه والفلسفة... فتعدّدت المؤلفات وتوسعت معارف المؤلفين.
- يعتبر السمين الحلبي من أهم العلماء الذين سعوا لإدراك هذه الغاية فبرع في علوم شتى وألف كتباً عدّة، ومن أهمها كتاب الدر المصون في علوم الكتاب المكنون.
- لدرّه المصون دررا كامنة تُبرز قيمته العلمية، فهو من أهم المصادر التي تناولت مختلف العلوم العربية مرتبطة وأثرها في تفسير القرآن العظيم، ويكفي أنه - رحمه الله - أفنى عمره فيه مجداً مجتهداً خدمة منه للّغة العربية والقرآن الكريم.

الفصل الأول

علاقة العلوم العربية بالقرآن الكريم

-المبحث الأول: تكامل العلوم العربية ودورها في تفسير القرآن الكريم

-المبحث الثاني: ترجمة موجزة المؤلف "السمين الحلبي"

-المبحث الثالث: التعريف بالمؤلف "الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون

الفصل الثاني

أثر علوم العربية في تفسير سورة يس في

كتاب الدرّ المصون (دراسة تطبيقية)

- المبحث الأول: أثر علم الصّوت في تفسير سورة يس.
- المبحث الثاني: أثر علم الصرف في تفسير سورة يس.
- المبحث الثالث: أثر علم النحو في تفسير سورة يس.
- المبحث الرابع: أثر علم اللّغة في تفسير سورة يس.
- المبحث الخامس: أثر البلاغة في تفسير سورة يس.
- المبحث السادس: دراسة إحصائيّة لمدى اعتماد السّمين الحلبي على علوم العربية.

المبحث الأول: "أثر علم الصوت في تفسير سورة يس في كتاب الدرّ المصون في

علوم الكتاب المكنون "

استعان السّمين الحلبي في تفسير هذه السّورة الكريمة بعلم الصّوت، وقد ارتبط كثيرا بالقراءات القرآنية. فاختلّفت قراءات اللفظة الواحدة، باختلاف ورود الحرف الواحد بطرق عدّة: بالتشديد أو التّخفيف أو الاستبدال، أو في حالات أخرى كالوقف أو الوصل، الإدغام أو الإظهار. وكان لكلّ هذا أثر في تغيّر المعنى وتوضيحه. وعلى إثر ورودها في السّورة والدور الذي تقدمه في كلّ حالة، عمدنا إلى تقسيم هذا المبحث على الشكل التالي:

أولاً: قراءة اللفظة "يس" بين الإدغام والإظهار وأثر ذلك في المعنى في الآية: اختلف القراء في قراءة هذه اللفظة؛ فمنهم من أدغم آخر حرف منها بأول حرف يليه، ومنهم من فكّ الإدغام وفقاً بنون ساكنة. والسّمين الحلبي عرض هذا الاختلاف وراح يشرح ويعلّل ذلك بالخفة لمن أدغم "فمن دواعي الإدغام الميل إلى السهولة واليسر والخروج من ثقل المتجانسين لكونه التماساً لجريان الأصوات وتتابعها دون انحباس أو فصل صوت عن الآخر"⁽¹⁾. فمن القراء من اتّجه إلى الإدغام وصلاً في الكلام "وللخفة فيه"⁽²⁾. لتقارب المخارج، ومنهم من اختار فكّ الحروف وإظهارها "وقفاً عليها"⁽³⁾. ففائدة الإدغام أنّه مكّن المتكلّم من اليسر في الكلام وانسجام حروفه.

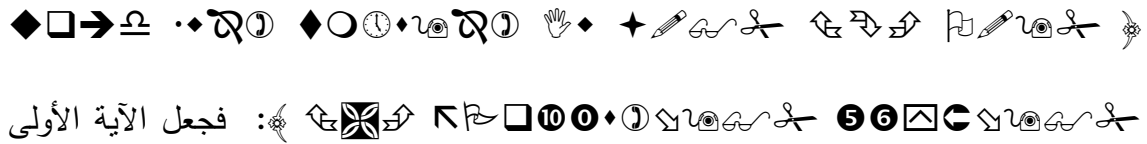
أمّا أثره في الآية الكريمة فيرتبط بالمعنى، فمن أدغم جعلها مع بعدها كلمة واحدة، فيكتمل معناها معها. أمّا من أظهر فكانت غايته الوقف على الكلمة وبذلك يحصل معنى جديد ويستأنف

¹ عبد المعطي جاب الله، دراسات في علم اللّغة الحديث، دط. الجزائر: 2009، دار الكتاب الحديث، ص: 7.

² السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 243.

³ ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 243.

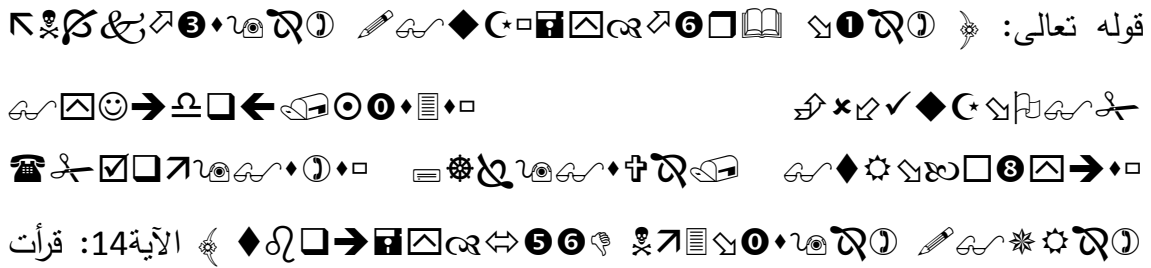
الكلام؛ ذلك لأنها فصلت في معناها عما بعدها، إذ عدت هذه الحروف حروف المعجم وبذلك تفصل عما بعدها، وهو الرّأي الذي أخذ به السّمين الحلبي، ظهر لنا في قوله: " وهذا أجرى على القياس في الحروف المقطّعة" (1). وهذا ما ذهب إليه أيضا في سورة آل عمران، في قوله تعالى:



حروف معجم والثّانية " كلامًا مبتدأ" (2).

ثانيا: في تخفيف الحروف وتشديدها: قسّمنا هذا الفرع اعتمادًا على المعاني التي تقدّمها هذه الميزة الصّوتية في تفسير السّورة وتوجيه معناها، لذا جاء تقسيمها على الشكل الآتي:

2. 1- إعطاء معاني جديدة مختلفة عما سبقها، وهذا ما نلتمسه في الآيات التالية:



هذه اللفظة بطريقتين مختلفتين، فمنهم من خفف الرّأي ومنهم من شدّها، وكان لهذا الاختلاف أثر في تفسير الآية وإعطاء معنى مختلف مع كلّ قراءة، إذ كلّ منها عمدت إلى قراءة هذا الصّوت بطريقة معيّنة، فتشديد هذا الصّوت يدلّ على القوّة والشدّة، ومنه قول العرب: "عزّز المطر الأرض أي: قوّاها ولبّدها ويصبح لحم الناقة صلبًا وقويًا إذا تعزّز" (3). وبهذا ستعني الآية أنّنا قوّينا

¹ - السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص:243.

² - نفسه، ج3، ص:6.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص:251.

المرسلين بمرسل ثالث. أمّا بتخفيف صوت الزّاي تصبح الكلمة بمعنى " الغلب " فعزّزنا أي: غلبنا، ومثاله من القرآن قوله تعالى في سورة ص: ﴿ وَبِالْأَنْفِ يُصْبِحُ ۝٣٨ ۝٣٩ ۝٤٠ ۝٤١ ۝٤٢ ۝٤٣ ۝٤٤ ۝٤٥ ﴾ الآية 23: أي: " غلبنّي والمعنى أنّ الغنيمة لمن غلب " (1). ويتطابقه على الآية تحملها الدلالة: " فغلبناهما بثالث " (2)، هذا بإضافة الشدة، أما بإزالتها فقد أضفنا معنى آخر للآية مستفيدين بذلك من علم الصّوت، سواء في بيان معنى الآية أو في تمكين القارئ من معرفة الفرق في المعاني بين التّخفيف والتّشديد، واكتفى المؤلّف بعرض هذه المعاني دون ترجيحه لمعنى دون آخر وذلك أنّ كلا القراءتين تودّي إلى المعنى نفسه.

قوله تعالى: ﴿ وَبِالْأَنْفِ يُصْبِحُ ۝٣٨ ۝٣٩ ۝٤٠ ۝٤١ ۝٤٢ ۝٤٣ ۝٤٤ ۝٤٥ ﴾ في الآية 33: يؤدي تشديد الصّوت وتخفيفه إلى عدّة فروق في المعاني مع كلّ حالة، فتشديد " التاء " في الميّتة تطلق على من مات ومن لم يمّت، في حين تستعمل هذه اللفظة مخففة التاء على من وقع عليه الموت. ولو أنّ السّمين الحلبي ذكر تقسيمات القراءة لهذه اللفظة في جميع القرآن فذكر المواضع التي اتّفق فيها العلماء على تخفيفها ومواضع تشديدها. ثمّ المواقع التي اختلف فيها العلماء بين مشدّد ومخفّف " (3). ووافق السّمين هذه التّقسيمات، أمّا المعنى فيتغيّر من آية إلى أخرى حسب ورود هذه اللفظة بكلا الحالتين في القرآن الكريم عامّة. وهاتان الآيتان تبيّنان لنا أثر الصّوت في التّفسير بين التّخفيف والتّشديد، فقدّم لنا معنى في تخفيفه في حين أعطى معنى آخر جديد أثناء تشديده.

¹- ابن هلال العسكري، جمهرة الأمثال، دط. بيروت، دس، دار الفكر، ج 02، ص 288.

²- نفسه، ج 9، ص: 251.

³- ينظر، السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج 3، ص 104

2.2- تكون سبباً في اختلاف المعاني في الآية الواحدة، وهذا ما نلاحظه في الآيات:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعُوا بِهَا كُفْرًا وَعَدُوًّا مُبِينًا﴾ في الآية 34: ففي هذه الآية يدلّ تشديد الجيم على " التكثر عكس تخفيفه "(1). كما نلتبسها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعُوا بِهَا كُفْرًا وَعَدُوًّا مُبِينًا﴾ في الآية 68:

فيضفي هذا التشديد معنى " المبالغة " في اللفظة ما يُحمّلها قوّة الفعل وأثره في نفس المتلقي أما في حالة التّخفيف بقولنا "تَنكُّسُهُ" قد " تحمل معنى المبالغة أو عدمه "(2). وفي هذه الآيات عمد السّمين إلى ذكر هذه الفروقات في المعاني بين تخفيف الحرف وتشديده دون أن يختار وجه دون الآخر.

2. 3- إعطاء الفرق بين الكلمتين إذا ما أضفنا حرف أو حذفناه أو استبدلناه بحرف آخر، وهذا ما اتّضح أكثر في الآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَذِهِ السُّبُلَ الَّتِي اتَّبَعُوا بِهَا كُفْرًا وَعَدُوًّا مُبِينًا﴾ في الآية 30: يظهر جلياً في هذه الآية أثر علم الصوت في الدلالة. وفي خدمته لتفسير القرآن من خلال مبحث مهمّ وهو الوقف، وارتبط هذا الأخير بالقراءات القرآنية، فكان أثره واضحاً ومعناه ظاهراً. ففي هذه الآية؛ وبالوقف على الهاء الساكنة والمبدلة من تاء التأنيث دلّت لفظة " حسرة " على المبالغة في التحسّر، وذلك لما تتميز به هذه "الهاء" في دلالتها على التآوّه، ومن أثره " تقوية المعنى في النفس، وذلك أنها في موضع وعظ وتنبهه وإيقاظ وتحذير فطال الوقوف على الهاء كما يفعله المستعظم للأمر المتعجب منه، الدالّ على أنّه قد

¹- ينظر، السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص:266.267.

²- ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص:284.

بهره⁽¹⁾، فعبر طول الصّوت على قوّة المعنى وشدة الحسرة في نفوسهم فتطرق السّمين إلى هذا الأثر الذي أحدثته الهاء في الدلالة بعدما عرض لمختلف القراءات الأخرى فبين معنى الآية في هذه الحالة مثلما فعل مع الدلالات الأخرى.

قوله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ بِإِذْنِ رَبِّكَ فَاتَّخِذْ آلَ إِمْرَأَتِكَ ذُرِّيَّةً كَمَا خَلَقْتَنِي فِي الْأَوَّلَافِ ٥٢﴾ الآية 52: ففي هذه الآية يختلف المعنى بإيراد ضمير المتكلمين "التاء" وبعدمه. فالأخذ بهذا الأخير جعل من "وي" كلمة برأسها، وبهذا يكون معنى الآية "يا عجب لنا؛ لأن "وي" تفسر بمعنى: "اعجب منا"، في حين يكون للآية الجليلة معنى آخر، تأويله أن كلّ واحد منهم يقول: يا ويلتي⁽²⁾. وذلك لأننا قرأنا هذه اللفظة بإيراد ضمير المتكلم وهو حرف "التاء" ليصنع الفرق مع كل موضع، ورغم أنه عرض هذه المعاني إلا أنه عقّب على من اختار رأي الكوفيين القائل أن "وي" كلمة برأسها وذلك لأثرها في معنى الآية التي يكون محصولها "يا عجب لنا"، وهو المعنى الذي رآه السّمين الحلبي بأنه تأويل بعيد للآية.

قوله تعالى: ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خُذْ كِتَابَكَ بِإِذْنِ رَبِّكَ فَاتَّخِذْ آلَ إِمْرَأَتِكَ ذُرِّيَّةً كَمَا خَلَقْتَنِي فِي الْأَوَّلَافِ ٥٥﴾ الآية: 55: مكنتنا هذه اللفظة من التماس أثر استبدال الحرف أو إضافته في تغيير بنية الكلمة، ونتيجة ذلك يتغير المعنى. فهذه اللفظة يتغير معناها تبعاً لزيادة أو حذف حرف منها. فهي بالألف تعني: "أصحاب فاكهة"، وبدونه تعني: أصحاب جنة "فرحون طربون"، وعموماً فإن كلتا

¹ - ابن جنّي، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح: علي النجدي ناصف عبد الفتاح، إسماعيل شلبي وآخرون، دط. القاهرة: 1994، ج2، ص: 210.
² - ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، ج9، ص: 275.

الحالتين تلتقيان في معنى: "المتلذذ المتنعّم، لأنّ كلّاً من الفاكهة والفكاهة مما يتلذذ ويتنعّم به"⁽¹⁾. ولهذا اکتفی السّمين الحلبي بعرض هذه القراءات دون تعقيب لأنّها توحى إلى الدّلالة نفسها.

قوله تعالى: ﴿مَلَأْنَا هَاجِلًا﴾

﴿مَلَأْنَا هَاجِلًا﴾ الآية 09: تظهر في هذه الآية السّمة الاستبدالية للأصوات، وما ينتج عن ذلك من تغيير معاني الكلمات وتأثيرها في دلالة الآية التي تندرج فيها هذه الكلمات؛ من خلال تغيير لفظها واستبدال أحد حروفها بحرف آخر.

فإذا جعلنا هذه اللفظة "بالغين" المعجمة تعني الآية أنّنا غطينا أبصارهم، أمّا حينما نستبدالها بحرف "العين" المبهمّة، فهنا يتحوّل المعنى إلى ضعف البصر، ومن ذلك قولنا: "عشي بصره وأعشيته أنا"⁽²⁾. فأشار رحمه الله إلى كل هذه الاختلافات في معاني الآية، مما يبرز أثر هذه السّمة الاستبدالية للحروف في تغيير المعنى وتفسير الآيات.

¹ - ينظر: السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج 9، ص: 277.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج 9، ص: 249.

المبحث الثاني: أثر علم الصرف في تفسير سورة "يس" في كتاب الدر المصون

للسمين الحلبي

احتوى هذا الكتاب في ثنايا تفسيره لسورة "يس" على مباحث صرفية متنوعة. لكننا اتبعنا دلالتها في السورة وما أضفته في خدمتها لتفسير الآيات، ولهذا قسمناه على فرعين: فرع في تصريف الأفعال وفرع في تصريف الأسماء وفي هذا الأخير أدرجنا قسم للمصادر وآخر لدلالة الأوزان. وفيه جمعنا مختلف الصيغ والمشتقات التي وردت في تفسير السورة، وأخيراً قسم للتصغير. أما المباحث الصرفية الأخرى كإشارته رحمه الله إلى تذكير الاسم وتأنيثه والاسم بين الإفراد والجمع، فقد ذكرنا أثرها في خلاصة المباحث وذلك لقلّة عددها ومحافظة منا على انسجام البحث.

أولاً- تصريف الأفعال:

قوله تعالى: ﴿...﴾¹ في الآية 57: ستختلف معاني الآية، وذلك بسبب اختلاف المعاني التي يقدمها وزن الفعل في كلّ مرّة. فالأصل أنّه مضارع الفعل "ادّعى" على وزن "افتعل" مرتبطاً بمعنى التمني الذي يوجّه الآية بمعنى "ادّع عليّ ما شئت، وقد يكون بمعنى الدّعاء؛ فما يدّعونهم أهل الجنة يأتيهم"⁽¹⁾. في حين يعطينا هذا الوزن معنى آخر مغاير لما سبقه حاملاً معنى التفاعل، وهو من الأوزان التي تفرض التبادل والتشارك بين الطرفين أي "ما يتداعون كقول العرب: ارتموا وتراموا"⁽²⁾.

¹ - السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص279.

² - ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص:279.

فتعدّد معاني الصيغة الواحدة يقدم معاني متفرقة للآية، ما يُظهر الأثر التفسيري لها، وهو ما أدركه السّمين الحلبي.

ثانياً- تصريف الأسماء

1.2 - المصادر

قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ﴾

الآية 5: لو نعود إلى قراءة هذه الآية نجد الاختلاف فيها، بين " القراءة بالضّم والقراءة بالفتح، حيث كان الفاصل في هذا الاختلاف أنّه عند قراءتها بالفتح فلكونها منصوبة على المصدر"⁽¹⁾. وبهذا سيزول الاختلاف وتحصل غايتنا والمتمثلة في فهم معنى الآية.

وكانت الوسيلة إلى غايتنا هذه في علم الصّرف من خلال المصادر فاستطعنا معرفة الفرق بين الحالتين، فإذا ما نصبنا اللفظة على المصدر فمعنى الآية، هو: " نزل الله ذلك تنزيلاً"⁽²⁾. في حين قراءتنا لها بالرفع فمحصول الآية أن: " الذي أنزل إليك تنزيل العزيز الرّحيم"⁽³⁾. وهو ما يفسّر وجهة من أعربها خبراً إذ هذا هو المعنى المراد.

فتمكّنا من خلال الصّرف مرّة أخرى، من توجيه القراءات لهذه الآية ومذهب كلّ قارئ الذي بحسبه اختلفت معاني الآية مع كلّ قارئ، وفي هذه الآية، وبعد حركات الإعراب تمكن الصّرف من بيان المعنى المراد من خلال ما يضيفه من إضافة المصدر إلى الفاعل أو جعل اللفظة بحدّ ذاتها مصدرًا.

¹- ينظر:المصدر نفسه، ج9، ص:246.

²- الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1. بيروت:1998، عالم الكتب، ج4، ص:278.

³- نفسه، ج4، ص:278.

2.2- دلالة الأوزان:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾¹
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾²
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾³

الآية 30: يختلف المعنى بين الفاعل والمفعول، إذ الأول صاحب الفعل، أمّا الثاني فهو من وقع عليه فعل الفاعل، وبالإضافة إلى أحدهما سيختلف المعنى تبعًا للاختلاف الحاصل بينهما مسبقًا، وهذا ما نقف عليه في تفسير هذه الآية التي بين أيدينا. وهو ما أشار إليه السّمين الحلبي، فإذا ما أضيف المصدر إلى الفاعل تكون الآية بمعنى: العباد هم الذين يتحسّرون على غيرهم وهذا لقوله: "الحسرة مصدرًا مضافًا إلى فاعله، أي: يتحسّرون على غيرهم لما يرون من عذابهم"⁽¹⁾. أمّا في حالة ما أضيف هذا المصدر إلى المفعول يتغيّر المعنى وتكون الحسرة عليهم هم بحدّ ذاتهم، فيكون التّقدير: "يتحسّر عليهم غيرهم". وهذا ما دلّت عليه صيغة الفاعل وصيغة المفعول، وبهذا نوجّه معنى الآية، هل هؤلاء العباد: يتحسّرون على غيرهم؟ أم هم من يُتَحَسَّر عليهم.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾¹
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾²
 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ ۖ وَاللَّهَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ۗ﴾³

﴿: إذ هذه اللَّفظة وبهذا الوزن تحمل عدّة معاني لكن الحلبي اختار وتكلم عن معنى واحد وهو معنى "الفاعلية"⁽²⁾، ولكونها جاءت على هذا الوزن حمّلت وأضيف لها معنى آخر، فدلّت على المبالغة في هذه الصّفة "الحكمة"، التي تدلّ على "الإلتقان والمنع من الخروج عن الإرادة"⁽³⁾، وهي

¹ - السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 259.
² - السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 245.
³ - نفسه، ج01، ص: 266.

صفة يتحلّى بها القرآن العظيم، بل أشدّ من ذلك إذ "أحكمت آياته" (1) وأتقنت، و "إنما سميّ القرآن حكمة لامتناعه عن المعارضة كأنه ممتنع أن يؤتى بمثله أو يعارض" (2).

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُولَئِكَ فَمَنْ يُؤَدِّبُ اللَّهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾

43: إن المراد من هذه الآية، أنّه لا مغيث لهؤلاء الذين شاء الله إغراقهم (3). وحتى يتحصّل الحلي على هذا المعنى رجع إلى المعاني التي يحملها هذا الوزن " فعيل "، والذي يعدّ من أبنية اسم الفاعل وله عدّة معاني. وفي مثالنا هذا يطلق على الصّارخ، وبذلك سيحمل معنيين إمّا أنّه "المستغيث بمعنى مصرخ، وإما مغيثا لغيره" (4). ولو نسقط هذه المعاني على الآية نستنتج مباشرة المعنى المراد، بعدما اتّضح لنا المعنى أكثر من خلال المعاني التي قدّمها هذا الوزن، فنذكر أن هؤلاء المغرقين لو يشاء الله أن يغرقهم فلن يكون لهم مغيث، وهذا بعد مقارنتنا بعقل راجع لمختلف المعاني التي قدّمها كل وزن لهذه البنية في ضبط اللفظة، فلجأ المؤلف وغيره إلى علم الصّرف لتوضيح الآية أو حتى يستدلّوا على ما ذهبوا إليه في ترجيحهم لمعناها من خلال المقارنة بين المعاني المختلفة للكلمة الواحدة إذا ما ارتبطت بهذا الوزن " فعيل " وكذا تجسيد الصّورة للمتصّفح لآيات الرحمان حتى يقرب إليه المعنى ويفهم لديه.

¹ - الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، ج4، ص277.

² - أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق الرّجّاجي، من اشتقاق أسماء الله، تح: عبد الحسين المبارك، ط2. بيروت: 1986، مؤسسة الرّسالة، ص: 60.

³ - محمد بن يوسف أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوض، ط1.

لبنان: 1993، دار الكتب العلميّة، ج7، ص: 324

⁴ - ينظر: السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص272.

على الضّم، فالأصل فيها أنها " يا إنسان "، وهنا استعان السّمين الحلبي بمبحث مهم في علم الصّرف، وهو التّصغير فهو يفسّر سبب اقتصار العرب على حرفين فقط من هذه الكلمة ذات الأصل: " يا أنيسين " فلكثرة النداء بها على ألسنتهم اقتصروا على شطرها الثاني فقط⁽¹⁾. فأصبحت " يس ". وراح السمين أيضا يعلل رأي شيخه، ويبين لنا أصل الكلمة معتمدا على التصغير وعلى أهم سمة له في أنه يرد الأشياء إلى أصولها. فلما كان تصغير " إنسان " على النحو " أنيسيان " بياء بعدها "ألف" دل على أصل الكلمة، وهو " إنسيان "⁽²⁾. فبعلم الصّرف ومبخته استطاع المؤلف أن يوضح للقارئ وجهة نظر المفسرين في هذه الكلمة ومذهبهم في أنّها منادى بعدما عدّت من أسماء النبي صلى الله عليه وسلّم، ونداء المولى عزّ وجلّ له، هذا من جهة ومن جهة أخرى أوضح لنا هذا الاختصار والاقتصار على الحرفين؛ وذلك راجع كما ذكرنا كونها كلمة مصغرة حذف شطرها لكثرة استعمالها. إلّا أنّ السمين الحلبي رفض هذا الوجه متّبعا شيخه الذي علّل رأيه بدليلين: الأوّل بالتصغير وما يتميز به في أنه يرد الأشياء إلى أصلها وبهذا رفض أنّ أصل الكلمة " إنسان " هي " أنيسيان " وقال أنّ أصلها " إنسيان ". أمّا دليله الثاني أنّ هذا الاسم من أسماء النبي صلى الله عليه وسلّم ولا يجوز تصغيرها لأنه تحقير ويمتنع ذلك في حقّ النبوة.

أمّا ما اختاره السّمين الحلبي في قراءة " يس " فهي القراءة الأولى بسكون النون " يسين " حيث اعتبرها حروفاً مقطّعة.

¹- ينظر، السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص:244.

²- ينظر، المصدر نفسه، ج9، ص:244.

**المبحث الثالث: " أثر علم النحو في تفسير سورة " يس " في كتاب الدر المصون
للسّمين الحلبي "**

بعد تصفحنا للكتاب من خلال تفسير سورة " يس " لاحظنا مدى اعتماده على علم النحو خاصة الإعراب ولعل هذا هو سبب تسمية بعضهم له أنه إعراب القرآن فكانت كلّ آية لا تخلو من

التفسير التّحوي، ورغبة منّا في استيعاب هذه القضايا في بحثنا هذا قسّمناها على حسب ورودها فيه.

أولاً: الإعراب: لاحظنا أنّ للسّمين في هذا طريقتين: إمّا أن يذكر رأياً واحداً في إعراب الآية، أو يذكر عدّة آراء في إعراب الآية الواحدة.

1.1- ذكره رأياً واحداً في الآية: وهو ما وجدناه في تفسيره للآيات التالية:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرْنَا بِالْحَقِّ وَصَبَرْنَا بِالْكَافِرِينَ﴾¹

الآية 12: اعتمد السّمين الحلبي في تفسيره للآية على الإعراب لتوضيح معناها، وتوقف ذلك على الفعل " ونكتب " فمن جعله " مبني للمعلوم: كان ما بعده مفعولاً به، و ما يليه عطف عليه"⁽¹⁾. أما من اختيار بناءه للمفعول جعل من شبه الجملة مرفوعاً كونها معطوفة على القائمة مقام الفاعل. و كل هذا اهتدينا إليه من خلال ما أعربت عليه الحركات الأخيرة من الكلمة. فاختلف المعنى ومراتب الكلمات في الجملة على حسب ما يقتضيه المعنى الذي تلزمه هذه الحركات.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرْنَا بِالْحَقِّ وَصَبَرْنَا بِالْكَافِرِينَ﴾¹

للمرسلين " وذلك بإعادة عامل الفعل " اتبعوا " وهذا ما رفضه أبو حيان الأندلسي في أن البديل لا يكون إلا إذا كان العامل حرف جر، وهذا سبب ترجيحه في إعرابه للجملة على أنها توكيد لفظي للعامل الذي سبقها، فحيث ما كان العامل فعلاً كان ما بعده تابعاً وهنا توكيداً له.

¹ - ينظر السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 250 .

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ﴾ الآية 29: في هذه الآية أشار السمين الحلبي إلى وجه النَّصب في الإعراب بعدما وقع بينه وبين الرَّفع فكانت "صيحة" خبر للفعل الناقص "كان". أما أصحاب وجه الرفع فقد أشار إليه ليوجهه بعد ذلك، فمن رفع جعل من الفعل "كان" فعلا تاما دل على تمام حدوث الفعل ووقوعه. لكن بهذا نخرج عن قاعدة من قواعد اللّغة العربية تجعل بذلك صاحبها ذو رأي ضعيف كما أشار لذلك السمين الحلبي، و ذلك أننا لا نُلحق تاء التأنيث بالاسم، وإن كان مؤنثا، إن فصلنا الكلام ب "إلا" فترفع التاء و يرفع ما بعدها و مثاله: عدم تأنيث الفعل قام في " ما قام إلا هند " (1). أي أننا نريد بالمعنى: " ما قام أحد إلا هند " فلمّا كان هذا هو المراد المعتمد: ذكر لفظ الفعل إرادة له، فأما المعنى في الآية الكريمة فإنه لما كان محصول الكلام: "قد كانت صيحة واحدة جيء بالتأنيث إخلادا إليه، وحملا لظاهر اللفظ عليه" (2).

وهنا ثانية تظهر لنا أهمية الإعراب، و كيف تتضارب المعاني باختلاف الحركات، وكان المؤلف مدركا لذلك ودليله اتجاهه في طرح احتمالات القراءة للفظة حتى يكتشف القارئ المعاني المختلفة لكل قراءة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُذُنٍ مُّبِينٍ﴾ الآية

30: اتّجه السّمين في دره المصون في تفسيره لهذه الآية الكريمة إلى الإعراب المباشر حتى يبيّن معنى الآية و بالأخصّ الإعراب المحلي للجملة في قوله تعالى: " ما يأتيهم"، و "إلا كانوا"، فكانت

¹ - السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص:257.

² - ابن جنّي، المحتسب: ج2، ص:206، 207.

وكلّ وجه من هذه الأوجه إلا وكان له معنى، كما أنّه يمثّل زاوية نظر كلّ مفسر وقارئ، فمنهم من قرأها بفتح النون مختاراً لمذهب دون الآخر، ففي هذه الحالة لفهم المعنى نقدّر ما حذف قبل هذه اللفظة "يس". فإمّا أن يكون المقدر الفعل "أثّل"، وإمّا حرف القسم المسقط، فيكون "مجرور بحرف القسم" (1)، أمّا من قرأها بالضم، فذلك تبعاً لتأويله فتكون خبراً لمبتدأ حذف تقديره: هذه "يس" (2). أو أن يكون مقسماً بها في حد ذاتها، كما في قولنا "عهد الله لأفعلن" (3). أو تكون منادى، يبيّن على الضم بدل الفتح، وهنا فسرت ب"يا إنسان" (4)، أمّا قارئها بالجر، فتعليله التقاء الساكنين وكلّ هذا الاختلاف أساسه اختلاف العلماء حول هذه الحروف التي افتتحت بها بعض سور القرآن الكريم فمنهم من جعلها أسماء و منهم من عدّها من الحروف.

نلاحظ هنا مزيجاً للإعراب فقد أعرب عن وجهات نظر عديدة، وعلى كثرتها لم يأخذ بالجهد الكبير، وهذا من أهمّ سمياته، و أنّه يقدّم و يفرّق بين عدّة معاني بمجرد تغيير الحركات فقط، وهو ما ساعد السّمين في عرضه للأوجه بدقّة و اختصار.

والظاهر أنّ السمين الحلبي اختار في الآية "يس" أنّها حروف مقطّعة، من خلال ترجيحه لرأي من أظهر النون وفقاً عليها. وهذا ما لاحظناه في الآية الأولى من سورة آل عمران (5).

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَ يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَسْمَاءٍ كُنَّ خَيْرًا مِمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (سورة آل عمران: 9)

﴿ الآية 2: هي الأخرى لها أوجه إعراب بل إنها تتعلق بالأوجه التي سبقتها فإذا جعل " ما قبلها قسماً كانت هي عطف عليه" (1). وإن لم يكن، كانت هي " القسم المستأنف و " أنك" جواب لها" (2).

1- السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 244.

2- ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 244.

3- نفسه.

4- نفسه.

5- ينظر: السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج3، ص: 6.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمِنُ الْحَلَبِيُّ إِلَّا لَأُجْحَمَ لِحَلَبٍ﴾

﴿ الآية 3: عرض السمين الحلبي لأوجه تعلق "على صراط" بما قبلها، ويتغير المتعلق يتغير المعنى المقدم في الآية الكريمة، فإذا ما "تعلقت" بالمرسلين" تكون الدلالة كما أرسل عليه كذا" (3). وإما أن يكون متعلقً محذوف وهنا يكون حالاً " من ضميره عليه الصلاة والسلام، المستكن في الجار والمجرور" (4). في لمن المرسلين " أو يكون حالاً من المرسلين، أو خبراً ثانياً لـ "إِنَّكَ" (5).

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمِنُ الْحَلَبِيُّ إِلَّا لَأُجْحَمَ لِحَلَبٍ﴾

﴿ الآية 5: لهذه الآية الكريمة أوجه إعراب مختلفة تتراوح بين الضم والنصب والكسر. فبالضم تؤكد قول القائل أن "يس" هي اسم من أسماء السورة، فتكون خبر لمبتدأ محذوف، وتقدير الجملة قولنا: هو تنزيل، وهذه السورة المسماة بـ "يس" تنزيل" (6). إذا جعلنا يس اسماً للسورة. وبهذا المعنى لا بد لنا أن نشير إلى أن الجملة القسمية معترضة، ذلك أن القسم لتأكيد القسم عليه و المقسم به اهتماماً فلا يقال: إن الكفار ينكرون القرآن فكيف يقسم به لالزامهم" (7). ويكون للآية معنى آخر، بحركة أخرى وهي الفتح، فتكون "بنصب على المدح أو المصدرية ولو أنها في هذا تحمل نفس المعنى الذي حملته بحركة الضم" (8)، إذا التقدير ننزل تنزيل، والمصدر هنا بمعنى المفعول أي: "هو تنزيل أي منزل العزيز الرحيم" (9)، أما حالة الجر

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 244.

² - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 245.

³ - ينظر: المصدر نفسه.

⁴ - الألويسي البغدادي، روح المعاني، ج22، ص: 385.

⁵ - ينظر: السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص: 245.

⁶ - ينظر: السمين الحلبي، ج9، ص: 246.

⁷ - الألويسي البغدادي، روح المعاني، ج22، ص: 212.

⁸ - السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص: 246.

⁹ - الألويسي البغدادي، المصدر السابق، ج22، ص: 212.

فتحمل معنى البديل أو النعت للفظة القرآن. ولربما لالتقاء هذه الأوجه في معنى واحد تُفسر به هذه الآية لم يرجح المؤلف لأحدها وإنما ذكر فقط هذا التوافق في المعنى بين الرفع والنصب.

قوله تعالى: ﴿

﴿

﴿

هذه الآية أنها مرفوعة، يبقى التمايز في رتبة "سواء" بين مسند و مسند إليه، فإذا ما جعلت مبتدأ كانت الجملة " أنذرتهم و ما بعده في قوة التأويل بمفرد هو الخبر"⁽¹⁾، وقولنا: بمفرد كون: " سواء اسم مصدر بمعنى الاستواء و هو لا يثنى و لا يجمع"⁽²⁾.

أما التقدير في هذه الحالة فيكون " سواء عليهم الإنذار وعدمه"⁽³⁾، وبهذا تكون الجملة التي التي بعدها "إخبار بانتفاء إيمانهم على تقدير إنذارك وعدم إنذارك"⁽⁴⁾. فأما إذا ما جعلت خبراً فهنا يكون مقدماً وجملة أنذرتهم بالتأويل السابق هي مبتدأ مؤخر والتقدير " الإنذار وعدمه سواء"⁽⁵⁾. باختلاف رتبة اللفظة في التركيب يؤدي إلى تغيير معنى الجملة، وهو ما ذكره السمين في هذه الآية.

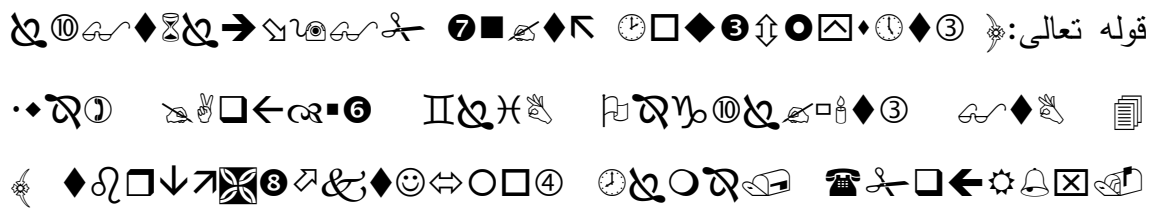
قوله تعالى: ﴿

﴿

﴿

¹ - السمين الحلبي، المصدر السابق، ج1، ص: 105.
² - الألوسي البغدادي، المصدر السابق، ج11، ص: 130.
³ - السمين الحلبي، المصدر السابق، ج1، ص: 105.
⁴ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج1، ص: 171.
⁵ - السمين الحلبي، الدر المصون: ج1، ص: 105.

الآية 12: لتفسير هذه الآية نقف على معنيين وذلك نتيجة الأوجه التي يمكن أن تعرب بها هذه اللفظة "كل"، وهو ما يؤدي إلى معاني متفرقة تختلف باختلاف الأوجه والموقع الذي يفرضه كلّ وجه رجحناه لها، وهذا ما يؤكّد أثر هذه الحركات في توجيه الآية وتفسير معانيها، ومن أوجهها أن تكون منصوبة على اشتغال المحلّ. وبذلك تنصب "كلّ" باعتبارها مفعول به لفعل محذوف يفسره الذي بعده "أحصينا"، وبهذا ستعطف هذه الجملة على الجملة التي سبقتها "نكتب" لتعطينا معنى متكاملًا يربط بين معاني هذه الآيات الأخيرة "والتأكيد للاعتناء بأمر الخبر أو لردّ الإنكار، وتأكيد الخبر أنّنا نحیی الموتى ونكتب ما قدّموا ما أسلفوه من الأعمال وآثارهم التي أبقوها بعدهم، وكلّ شيء أحصيناه أحميناه في إمام مبین"⁽¹⁾. وهو المعنى الذي رجّحه المؤلف في تفسيره لهذه الآية. وهنا يتّضح لنا معنى الآية وربطها بمعاني الآيات التي سبقتها ليمتّ المعنى ويؤكّد الخبر الذي جاء بعده وتردّ على الكفار في قولهم. أمّا أخذنا بوجه الرّفْع، فهذا الرّفْع للابتداء وبذلك استئناف الكلام وبداية معنى جديد، ليظهر لنا هذا مجددًا أثر هذه الحركات واختلاف أوجهها في توجيه معاني الآيات واختلاف التّفسير على حسب ما يقتضيه كلّ وجه فيها.



الآية 30: لهذه الآية عدّة أوجه مختلفة في الإعراب، حيث قدّم كلّ وجه معنى مغاير عن الآخر فمنها النّصب والجرّ والضّم.

أمّا الفتح فمنهم من جعله بالتّونين؛ أو بدونه أو بألف في آخرها، ففي حالة النّصب المنون: تكون منصوبة على المصدر والمنادى منها محذوف، وتقدير الكلام "يا هؤلاء تحسّروا حسرة على العباد

¹ - الألوّسي البغدادي، روح المعاني، ج1، ص: 390.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنذِرْ ۚ﴾

الآية 44: إنَّ اختلاف إعراب هذه الآية أدّى إلى اختلاف

المعنى المراد منها، إذ لكلّ وجهة نظر إليها.

فاتَّفَقوا على أنها " منصوبة "(1). لكنّ هذا النَّصْب، إمّا لأتّها مفعول له " كأنه قال: إلّا لأجل

رحمتنا إياهم "(2). و" انتصبت رحمة على الاستثناء المفرغ للمفعول لأجله "(3). أم لكونها انتصبت

على المصدر بفعل مقدر محذوف أي " إلا أن ترحمهم رحمة ومنتعم تمتعاً "(4). وكان النَّصْب

على إسقاط الخافض وهو الباء الزائدة أما تقديره " إلا برحمة و متاع " والجار متعلّق بينقذون، ولما

حذف انتصب مجروره بنزع الخافض "(5). وهنا يظهر جليا كيف انتقلت المعاني واختلفت

باختلاف أوجه نظر المفسّرين حول إعراب هذه الآية، وبهذا طرحت معان مختلفة للآية على حسب

ما اقتضاه كلّ وجه أو حالة أو رأي.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۖ قُمْ فَأَنذِرْ ۚ﴾

الآية 54: ف " شيئا " لها قراءتين

كلتاها بالنَّصْب احداهما " منصوبة على المصدرية، وأخرى مفعول به ثان "(6)؛ والسَّبب في ذلك

سيظهر لنا من خلال التقدير وهو في قوله تعالى " لا تظلم نفس من النفوس برّة كانت أو فاجرة

¹ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 273.

² - ابن عطية، المحرّر الوجيز، ص: 455.

³ - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص: 324.

⁴ - الألويسي البغدادي، روح المعاني، ج23، ص: 28.

⁵ - نفسه.

⁶ - ينظر: السمين الحلبي، الدرّالمصون، ج9، ص: 276.

"شيئاً" من الظلم⁽¹⁾؛ وبهذا تنصب شيئاً، إمّا لكونها مصدرًا أو " شيئاً من الأشياء على أنه مفعول به على الحذف والإيصال"⁽²⁾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَأَسْمِعُ سَمْعُكُمْ وَلَكِنِّي ظَنِيتُ أَنِّي مُخَلَّقٌ بِذِكْرِ رَبِّي غَفْلًا﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَأَسْمِعُ سَمْعُكُمْ وَلَكِنِّي ظَنِيتُ أَنِّي مُخَلَّقٌ بِذِكْرِ رَبِّي غَفْلًا﴾ الآية

55: يختلف إعراب هذه الآية في السورة والتي تكون خبر " إنّ " وما يترتب عن ذلك من تغيير محل الأخرى على حسب ما يقضيه الموضع. حيث يجوز أن يكون " الجار والمجرور خبرا " و فاكهون" خبر ثان، كما يجوز أن تكون فاكهون هو الخبر⁽³⁾. وفي هذه الحالة يكون " في شغل" متعلق به أو حال من ضميره.

أمّا لفظة " فكهون " فاختلف القراء في حركتها أمّا إعرابها فلها حالات ، فإمّا الرّفْع وتقديرها ما تقدّم، وإما أن تكون منصوبة نصبًا على الحال ليكون " في شغل " هو الخبر وهذا في حالة قراءتها بالألف والياء، والحال " في الظرف أي من المستكن"⁽⁴⁾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَأَسْمِعُ سَمْعُكُمْ وَلَكِنِّي ظَنِيتُ أَنِّي مُخَلَّقٌ بِذِكْرِ رَبِّي غَفْلًا﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَأَسْمِعُ سَمْعُكُمْ وَلَكِنِّي ظَنِيتُ أَنِّي مُخَلَّقٌ بِذِكْرِ رَبِّي غَفْلًا﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَأَسْمِعُ سَمْعُكُمْ وَلَكِنِّي ظَنِيتُ أَنِّي مُخَلَّقٌ بِذِكْرِ رَبِّي غَفْلًا﴾ الآية 56: في هذه الآية الكريمة سنركّز على الضمير " هم " ومحله الإعرابي تبعًا لموقعه في الآية وما يكون له من معنى على حسب كلّ وجه من أوجه إعرابه.

¹ - الألوّسي البغدادي، روح المعاني، ج 12، ص 33.
² - نفسه.
³ - ينظر: السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص:276.
⁴ - الألوّسي البغدادي، المصدر السابق، ج12، ص: 34.

فإنّما أن تكون " مرفوعة وفيها أوجه وإن تعلق بعضها بمعاني " ما " في الفعل " ما يدعون. الذي سبقها فإذا ما حملت " ما " معنى الابتداء كان " سلام " خبرا لها؛ وإذا ما " كانت نكرة موصوفة "(1)، جعلت سلام صفة لها، في حين يتعذر ذلك إذا جعلت " ما " بمعنى " الذي " "لتخالفهما تعريفا وتكثيرا"(2). وتبقى حالة واحدة، إذ منحناها محلّ البدلية من " ما " فهنا سنقع على العموم والخصوص إذ جعلها " بدلا سيكون " ما يدعون " خصوصا " ؛ و لكن معناها في هذا المقام على قول السمين بإسناده لشيخه فإنّ الظاهر أنّه عموم في كلّ ما يدعونه " وإذا كان عموماً لم يكن سلام بدلاً منه "(3). واعتماداً على هذا المعنى لا يجوز هذا الوجه هنا.

و من حالات الرفع لهذه اللفظة: أنها تكون إخباراً عن " مبتدأ مضمّر "(4)، يكون معنى الآية بتقديره " هو سلام "(5). ويجوز أن يكون مبتدأ خبره ناصب " قولاً ". أمّا معنى الآية به فتكون " سلام " يقال يقال لهم قولاً (من رب رحيم)، ومقدّر بعليكم "أي سلام عليكم قولاً من رب رحيم "(6)

و أوجه الرفع فيه أن يكون مبتدأ تخبر شبه الجملة بعده " من ربّ " أما " قولاً " فتكون " مصدر مؤكّد لقوله تعالى: " و لهم ما يدعون سلام " أي عدة من ربّ رحيم "(7)، كما أنّ هذه اللفظة في حالة النصب تعطي تأويل آخر لمعنى الآية فتكون بنصبها إما حالاً أي " لهم مرادهم خالصا "(8). و إمّا أن يكون معنى الآية يسلمون سلاماً، إمّا من التّحية وإمّا من السّلامة إذا جعلت مصدرًا.

¹- ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص279

²- نفسه.

³- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط : ج7، ص: 327.

⁴- السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص: 279.

⁵- نفسه.

⁶- انظر: أبو حيان الأندلسي، المصدر السابق، ج7، ص: 327.

⁷- الزمخشري، الكشاف، ج7، ص: 185.

⁸- نفسه: ج5، ص 185.

ثانياً: معاني الحروف

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ هُوَ قَاتِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَانظُرْ إِلَىٰ ثَمُودَ إِذْ هُم يُحَادِّثُونَ إِذْ هُمْ يَقُولُونَ إِنَّا نَرَىٰ رَبَّنَا عَلَىٰ سَعْدٍ مِّنَ الْجِبَالِ فَاصْنُرْ بِالْحُرِّ وَالْحَمِيمِ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ هُوَ قَاتِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَانظُرْ إِلَىٰ ثَمُودَ إِذْ هُمْ يُحَادِّثُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ هُوَ قَاتِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَانظُرْ إِلَىٰ ثَمُودَ إِذْ هُمْ يُحَادِّثُونَ﴾ الآية 1: على حسب ما أورد السمين في كتابه فإن للحرف " ما "

في هذه الآية عدّة أوجه ومع كلّ وجه معنى ليؤثر في الأخير على معنى الآية كلّها وهذا ما

سندركه من خلال هذا المثال:

فهذا الحرف إمّا أن يكون دالاً على الموصلية بمعنى " الذي " وهنا ستؤول الآية بعده بتقدير

المحذوف في الفعل " أنذره ب: " لتتذر قوما الذي أنذره آبائهم من العذاب، أو لتتذر قوماً عذاباً

أنذره آبائهم فهي توحى إلى العذاب الذي أنذره الآباء من قبل، ويجوز أن تكون " ما " مصدرية،

فتقديرها بالمصدر هو " إنذار آبائهم"⁽¹⁾، ونلاحظ تغيير معنى الآية هنا عن الأولى فصار معناها

" لتتذر قوماً إنذاراً مثل إنذار آبائهم " . لينتفي إنذار الآباء بجعل " ما " نافية يعني أن " آبائهم لم

ينذروا"⁽²⁾، وبجعل " ما " زائدة نحصل عن معنى مغاير عن المعاني الأخرى. إذ تقديره في ذلك "

لتتذر قوماً أنذر آبائهم ".

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ هُوَ قَاتِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَانظُرْ إِلَىٰ ثَمُودَ إِذْ هُمْ يُحَادِّثُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ هُوَ قَاتِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَانظُرْ إِلَىٰ ثَمُودَ إِذْ هُمْ يُحَادِّثُونَ﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا كَمَا صَبَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ إِذْ هُوَ قَاتِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَانظُرْ إِلَىٰ ثَمُودَ إِذْ هُمْ يُحَادِّثُونَ﴾ الآية 8: كان

للمعاني التي قدّمتها الفاء في الآيات أثر جليّ في التفسير كونها تتناول مراحل حسن ترتيبها بالفاء؛

فالأولى في الآية " فهي إلى الأذقان " علّلت لنا كيف وصلت الأغلال إلى الأذقان إذ " أن الغلّ

¹ - ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 246.

² - أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط : ج7، ص: 311.

لغلظه و عرضه يصل إلى الذّقن لأتّه يلبس العنق جميعه⁽¹⁾، فهذه الأغلال واصلة أو منتهيّة إلى أذنانهم⁽²⁾.

لينجلي بعد ذلك سبب الإقماح تبعا لما قدّمته الفاء من حسن ترتيب وربط بين الآيتين، ولما وصلت الأغلال إلى الأذقان لعرضها لزم عن ذلك ارتفاع رؤوسهم إلى فوق، أو لما جمعت الأيدي إلى الأذقان وصارت تحتها لزم من ذلك رفعها إلى فوق فترفع رؤوسهم⁽³⁾، فبعدها علّلت لنا في الأولى كيف وصلت الأغلال إلى الأذقان، ها هي في التّانية تعطي لنا النتيجة والتمتّلة في الإقماح.

قوله تعالى: ﴿...﴾
7 8 9 10 11 12 13 14 15 16 17 18 19 20 21 22 23 24 25 26 27 28 29 30 31 32 33 34 35 36 37 38 39 40 41 42 43 44 45 46 47 48 49 50 51 52 53 54 55 56 57 58 59 60 61 62 63 64 65 66 67 68 69 70 71 72 73 74 75 76 77 78 79 80 81 82 83 84 85 86 87 88 89 90 91 92 93 94 95 96 97 98 99 100

الآية 27: تتمايز معاني الآية بتميّز كلّ وجه في المعنى الذي يمكن أن يقدّمه هذا الحرف " ما ".
فيمكن أن نخبرنا الآية عن غفران المولى عزّ وجلّ لذنوب هذا العبد " إذ جعلنا " ما " مصدرية فيها
نؤوّل الآية " يعلمون بغفران ربّي "⁽⁴⁾ و لها أن تتقلّ لنا تمّني هذا العبد " أن يعلم قومه بذنوبه
المغفورة "⁽⁵⁾، لو جعلنا " ما " موصلية بمعنى الذي مع تقدير العائد المحذوف فتؤوّل الآية يعلمون "
بالذي غفره لي ربّي "⁽⁶⁾، و تجدر بنا الإشارة إلى أن المعنى في الآية إنما على " تمّني عليهم بغفران

¹ - السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 247.

² - الألويسي البغدادي، روح المعاني، ج11، ص: 387.

³ - السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص: 248.247.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 256.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه، ج9، ص: 256.

ربّه ذنوبه" (1)، ولذلك استضعف الوجه الأخير ومنهم من قال أنها بمعنى الاستفهام و أسقط ذلك لعدم سقوط الألف كونها مجرورة.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَقْصَىٰ دَعْوَىٰ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ لُوطٍ إِنَّمَا الْإِنسَانُ لِرَبِّهِمْ كَذَّابٌ﴾
 ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَقْصَىٰ دَعْوَىٰ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ لُوطٍ إِنَّمَا الْإِنسَانُ لِرَبِّهِمْ كَذَّابٌ﴾
 ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَقْصَىٰ دَعْوَىٰ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ لُوطٍ إِنَّمَا الْإِنسَانُ لِرَبِّهِمْ كَذَّابٌ﴾
 تأويل الآية، ليختار كلّ عالم وقارئ وجهة نظر ويستدلّ لها، ومن أوجه " ما ":

أن تكون " نافية" (2)، فيكون معنى الآية " ما يصحّ في حكمنا أن ننزل في إهلاكهم جندا من السماء لأنّه تعالى أجرى هلاك كلّ قوم على بعض الوجوه دون بعض" (3). في حين تحمل الآية معنى العطف. فتؤول " وما أنزلنا على قومه من بعده جندا، ومن الذي كنّا منزلين على الأمم مثلهم" (4). وهذا إذا جعلت " ما " عطف وسقط رأي ثالث بجعلها زائدة ليكون تقدير الآية " وقد كنّا منزلين" (5). وهذا لفساده لفظا ومعنى كما أكده المؤلف.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَقْصَىٰ دَعْوَىٰ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ فِرْعَوْنَ وَمَا كُنَّا جُنُودَ آلِ لُوطٍ إِنَّمَا الْإِنسَانُ لِرَبِّهِمْ كَذَّابٌ﴾
 بحسب توجيهنا لحرف " اللام ". فإذا ما فسّرناه "حرف علّة يكون معنى الآية: " أنّ الشمس تجري

1- ينظر: المصدر نفسه.
 2- السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص: 257
 3- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص: 318.
 4 - نفسه.
 5- السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص: 257.

لأجل مستقرّ لها ⁽¹⁾؛ في حين نتحصل على معنى آخر متعلّق بالزّمان أو المكان الذي تستقر فيه الشمس إذا ما قلنا " أن اللّام بمعنى إلى " ⁽²⁾، أي: " أن الشمس تجري إلى مستقر لها ". أمّا السّمين فيرى أنّ اللّام بمعنى " إلى " ، فيكون تفسير الآية " تجري إلى مستقر لها " .

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُونَ إِلٰهًا إِلَّا إِلٰهَ الْحَمْدِ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كِطَابًا لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا السَّيِّدُ الْقَائِمُ الْمُؤَيَّدُ لَهُ دَرَجَاتُ الْعِلْمِ يُرِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كُلِّنَا حَافِيًا يَوْمَ تُحْشَرُ أُولَئِكَ أَفْوٰهًا ۚ﴾
 " ما " هنا عدّة أوجه مثلها مثل غيرها، هناك اختلاف فقط في اختلاف بعض أوجهه في معنى واحد، وهي "المصدرية، الموصولة، والموصوفة، والنافية " .

فكلّ هذه الأوجه تعطينا بتقديرها في الآية: أنّهم يأكلون من ثمرهم و " من الذي عملته أيديهم من الغرس و المعالجة " ⁽³⁾، أي: هم من عملوه لكن بإعطائنا " ما " وجه النفي فهنا سيتغير المعنى كلياً ويكون أكلهم من ثمر لم يكن نتيجة عملهم بل هو نتيجة ورزق المولى عزّ وجلّ وهو الفاعل جلّ جلاله.

قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمُونَ إِلٰهًا إِلَّا إِلٰهَ الْحَمْدِ لَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ السَّمَاءُ كِطَابًا لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا السَّيِّدُ الْقَائِمُ الْمُؤَيَّدُ لَهُ دَرَجَاتُ الْعِلْمِ يُرِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كُلِّنَا حَافِيًا يَوْمَ تُحْشَرُ أُولَئِكَ أَفْوٰهًا ۚ﴾
 بحسب المعنى الذي يقّدمه كلّ وجه جوّزناه لما في هذه الآية؛ فهي إمّا أن تكون مصدرية أو موصولة وإمّا أن تكون صفة للمرقد.

¹ - ينظر: السمين الحلبي، نفسه، ج9، ص269.

² - السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص:259.

³ - نفسه: ج9، ص:268.

فتقدير الآية بتأويل الموصلية والمصدرية " فالمصدر فيه بالوعد والصدق، وبمعنى " الذي " أي:
الذي وعده الرَّحْمَنُ والذي صدق المرسلون "(1).

أمَّا تأويل الآية على أن " ما " صفة للمرقد فتكون الجملة " ما وعد " خبر للمبتدأ المحذوف أو
مضمَّر تقديره "حق" وبذلك يكون معنى الآية " ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق "(2). أمَّا
السَّمين الحلبي فيرى أنَّ ما في هذه الآية يصحَّ أن تكون موصولة اسمية أو حرفية، وبهذا يرجِّح
للآية المعنى: " الذي وعده الرَّحْمَانُ وصدق فيه المرسلون.حق عليكم "(3).

ثالثاً: عودة الضمير:

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمِثْقَالَ الْحَقِيقَةَ إِنْ جِئْتُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِنْ أَنتُمْ صَادِقُونَ﴾
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمِثْقَالَ الْحَقِيقَةَ إِنْ جِئْتُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِنْ أَنتُمْ صَادِقُونَ﴾
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمِثْقَالَ الْحَقِيقَةَ إِنْ جِئْتُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِنْ أَنتُمْ صَادِقُونَ﴾
إمَّا على الأغلال وإمَّا على الأيدي وفي ذلك نظر، فقولنا أنه عائد على الأغلال لأنَّها الأقرب "
والمحدِّث عنها "(4)، أما قولنا بعودتها على الأيدي لأن: " الغل يتضمَّن العنق واليدين ولذلك سمي
جامعة فما يكون في العنق وحده أو في اليد وحدها لا يسمَّى غلاً، فدلَّ علي الأيدي هذه الملازمة
المفهومة من هذه الآلة والمتمثلة في الغل"(5).

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمِثْقَالَ الْحَقِيقَةَ إِنْ جِئْتُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِنْ أَنتُمْ صَادِقُونَ﴾
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمِثْقَالَ الْحَقِيقَةَ إِنْ جِئْتُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِنْ أَنتُمْ صَادِقُونَ﴾
﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَكَ مِنْ الْقَوْمِ فَقُلْ إِنِّي خَشِيتُ الْمِثْقَالَ الْحَقِيقَةَ إِنْ جِئْتُمْ بِبُرْهَانٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَإِنْ أَنتُمْ صَادِقُونَ﴾
الآية

1 - أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط : ج7.

2- الرَّمخشي، الكشَّاف، ج5، ص: 182.

3- ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص: 276.

4- نفسه: ج9، ص: 247.

5- ينظر: المصدر نفسه.

43: بارتباط الضمير لهم بما قبله وما بعده يضيف معنى جديد يحسن أكثر عن سابقه بانقطاعه عن سابقه وجعله استئناف إخبار. ولئن جاز ربطه بالمُغْرَقِينَ لكن الأول أحسن فلنتأمل، إذ المعنى باستئنافه "إخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا أو مغرقين فهم بهذا لا نجاة لهم إلا برحمة الله" (1). فنلاحظ المعنى الفارق بين الحالتين وأثر ذلك في تفسير الآية.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَالذِّكْرِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَالذِّكْرِ الرَّحِيمِ﴾
 ﴿وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ آيَاتِنَا وَالذِّكْرِ الرَّحِيمِ﴾
 هذا المقام راجع إلى العائد من الضمير في هذه اللفظة فيمكن أن يعني: " ثمرة النخيل والأعناب
 " (2)؛ لأنه الأقرب ذكرًا " واكتفى به للعلم باشتراك الأعناب معه " (3). وقد يقصد به ثمر الجنّات،
 وعاد بلفظ المفرد، إذ هنا جرى الضمير مجرى اسم الإشارة " ذاك " كما يمكن للضمير أن يعود
 على الماء ونخلص لذلك من أمرين، إمّا لأن لفظة العيون تعود عليه، وإمّا من خلال تقديرنا
 للمحذوف : أي من ماء العيون " (4).

و يمكن أن يكون للآية معنى آخر " أي ليأكلوا ممّا خلقه الله تعالى من الثمر " (5) وذلك بأن نقول أن
 أن الأصل هنا " من ثمرنا " تبعًا لما قبله " وفجرنا " و"جعلنا " فنقل الكلام من التكمّل إلى الغيبة
 على طريقة الالتفات وعلى هذا يكون الضمير عائد على الله تعالى " (6).

1- ابن عطية، المحرر الوجيز، ص: 455.

2- ينظر، السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص: 267 -

3- الألوسي البغدادي، روح المعاني، ج23، ص: 8.

4- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص: 320.

5- السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص: 267

6- نفسه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِيُحْيِيَنَّ اللَّهُ رُوحَهُ ثُمَّ يُعَلِّمُهُ كِتَابَهُ وَيُخَوِّضُهُ فِي الْفَنَنِ الْمَعِينِ﴾

﴿قُلْ لِيُحْيِيَنَّ اللَّهُ رُوحَهُ ثُمَّ يُعَلِّمُهُ كِتَابَهُ وَيُخَوِّضُهُ فِي الْفَنَنِ الْمَعِينِ﴾

الآية 43: بارتباط الضمير لهم بما قبله وما بعده يضيف معنى جديدا يحسن أكثر بانقطاعه عن سابقه وجعله " استئناف إخبار " ولئن جاز ربطه بالمغرقين لكن الأول أحسن ⁽¹⁾. فلنتأمل، إذ المعنى باستئنافه " إخبار عن المسافرين في البحر ناجين كانوا أو مغرقين فهم بهذه لا نجاة لهم إلا برحمة الله ⁽²⁾. فنلاحظ المعنى الفارق في كلتا الحالتين وأثر ذلك في معنى الآية.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لِيُحْيِيَنَّ اللَّهُ رُوحَهُ ثُمَّ يُعَلِّمُهُ كِتَابَهُ وَيُخَوِّضُهُ فِي الْفَنَنِ الْمَعِينِ﴾

﴿قُلْ لِيُحْيِيَنَّ اللَّهُ رُوحَهُ ثُمَّ يُعَلِّمُهُ كِتَابَهُ وَيُخَوِّضُهُ فِي الْفَنَنِ الْمَعِينِ﴾

﴿قُلْ لِيُحْيِيَنَّ اللَّهُ رُوحَهُ ثُمَّ يُعَلِّمُهُ كِتَابَهُ وَيُخَوِّضُهُ فِي الْفَنَنِ الْمَعِينِ﴾ الآية 69:

تظهر معرفتنا للعائد في هذه الآية من الضمير " هو " حيث استطعنا تأويل الآية الكريمة بل حتى في قراءة الآية التي بعدها " لتندر" ⁽³⁾ مخاطبة للرسول صلى الله عليه وسلم.

أما بالغيبة فيكون العائد فيه " القرآن الكريم أو على النبي صلى الله عليه وسلم ⁽⁴⁾؛ فكان هذا الضمير رابطاً ومؤكداً لحقيقة لطالما شكك وعنت فيها الكفار. فأزالت عنها الغطاء، وهي أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام لم يعلم الشعر ولا ينبغي له ذلك. بل إنّ ما علمه ما هو إلا ذكر وهو القرآن الكريم، وشتان بين هذا وذاك.

هنا يظهر لنا وبطريقة غير مباشرة ما ذهب إليه المؤلف، فجعل " القرآن " هو العائد من الضمير، لدلالة السياق عليه. أو يكون معنى الآية: "إن العلم إلا ذكر" دلّ عليه قوله تعالى: " ما علمناه ".

¹- ينظر: السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص: 273 .

²- ابن عطية، المحرر الوجيز، ص: 455.

³- ينظر: السمين الحلبي، المصدر السابق، ج9، ص: 284.

⁴- نفسه: ج9، ص: 284، 285.

المبحث الرابع: أثر علم اللغة في تفسير سورة يس في كتاب " الدر المصون للسّمين الحلي "

اعتمد السّمين الحلي في تفسيره لسورة يس في كتابه على علم اللغة، وسار على منهجها، ويمكن ذلك في شرحه وتفسيره للألفاظ بطريقة " تحيط بكل ما أثر من مفردات اللغة، وتفسرها وتشرح غامضها، وقد تبينّ كيفيات استعمالها وتدلّ على طريقة نطقها وتلفظها "(1). وهذا ما نجده في المعاجم التي تعدّ مفردات اللغة أساسا فيها ولها.

إذ " كلّ مفردة منها مصحوبة بما يرادفها أو يفسرها ويشرح معناها ويبين أصلها أو اشتقاقها أو استعمالاتها وقد يوضّح أصلها ويبين طريقة نطقها ويذكر ما يقابل معناها في لغة العرب "(2). ولما تأملنا في منهج السّمين الحلي في كتابه من النّاحية اللّغوية وجدناه يسلك في ذلك منهجًا خاصًا أحببنا أن نقسم مادّة البحث وفقه؛ فإنّه رحمه الله تعالى يذكر:

أولاً : ذكر دلالة النّفظة المفردة في سياق الآية :

¹ - احمد محمد المعتوق، المعاجم اللّغوية العربيّة، ط1. لبنان: 2008، دار النهضة العربية، ص: 24.

² - نفسه، ص: 17.

وجاءت أغلب هذه الشروحات اللغوية التي ربط فيها معنى المفردة بالسياق الذي وردت ضمنه كل آية، ففسّر معناها على حسب ما تقتضيه الدلالة في كل موضع من هذه الآيات، كما أنّ أغلب هذه المعاني طُرحت أثناء عرض السّمين لأوجه قراءة هذه الألفاظ وبذلك وضّح من خلال المعنى اللّغوي، وباعتبار سياق الآية وضّح معنى هذه اللفظة وهو ما نبهنا إلى اختلاف معناها عن القراءات الأخرى .

قوله تعالى: ﴿...﴾

﴿...﴾ الآية 55

: توضح لدينا المعنى بقراءة هذه الآية " فَاكِهُونَ " من الأصل " فَاكِهَةٌ " لتدلّ على أنّ أهل الجنّة " أصحاب فَاكِهَةٌ " .

أمّا الوجه باللفظة " فَاكِهُونَ " ذات الأصل فاكهة، فيعني أنّ أهل الجنّة " طَرِبُونَ . فَرِحُونَ " ولو أنّ كلاهما يجتمع في معنى التلذذ والتّنعيم لأنّ كل " مِنْ الْفَاكِهَةِ وَالْفُكَاهَةِ مِمَّا يُتَلَذَّذُ بِهِ وَيُتَنَعَّمُ "(1) .
فبهذه الإشارات اللّغوية الشارحة لمعنى اللفظة، توضحّت لدينا معنى الآية، وتجلّت لدينا هذه الفروقات بين معاني اللفظة إذ ما حذف أو أزيد أحد حروفها، وهذه السّمة تعتبر من أهم الخصائص التي تتميز بها اللّغة العربية، وكانت لهذه الخاصية أثر في تفسير هذه الآية.

وفي قوله عزوجلّ: ﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾ الآية 49: استعان السّمين في شرحه لهذه اللفظة وتوضيح

المعنى المقصود من قراءتها بتسكين الخاء وتخفيف الصاد ، بالشرح اللّغوي لهذه اللفظة رابطاً إيّاها

¹ - السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص:277.

بالسياق الذي وردت فيه، وبذلك توصل إلى تفسير الآية الكريمة بالمعنى "يَخْصِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا"⁽¹⁾

وبعد عرضه لمختلف قراءات هذه اللفظة عمد إلى توضيح المعنى أكثر، فذكر لنا أثر أصل هذه الكلمة "يَخْصِمُونَ" ثم بين لنا أهم هذه التغيرات التي طرأت عليها حتى تحصلنا على اللفظة "يَخْصِمُونَ"، وبذلك يتضح لنا معنى اللفظة وبالتالي معنى الآية .

قوله تعالى : ﴿لَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةُ آيَاتِنَا هَاطُوا وَسِعْتْنَا لِيَوْمَ تَأْتِيهِمْ لَمَّا كَانُوا فِي أَمْتٍ كَثِيرَةٍ فَنَادَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ كُلُّكُمْ إِلَهٌ وَإِنَّا بِكُمْ لَخَبِيرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ الآية 78: عمد السّمين في تفسيره لهذه الآية إلى شرح معنى المفردة "رَمِيمٌ" مبيّناً أصلها والمقصود منها، وبذلك وجّهنا إلى المراد من المعنى؛ بل التقطن لمعجزة الخالق وقدرته سبحانه على إعادة خلق هذه العظام رغم قدمها، وبُعد حالها كونها بالية أشدّ البلى، ولربّما عمد السّمين إلى إيراد هذه الشّروحات لهذه الألفاظ وجعلها مفتاحاً لتفسير هذه الآيات، خاصّة وأنها أسقطت في سياق الآية بحد ذاتها.

ثانياً : ذكر دلالة اللفظة في سياق الآية مستشهداً بكلام العرب :

حرصاً منه رحمه الله على بيان معاني الكلمات وتيسيرها لمحبيها، راح السّمين يجدّ في تفسير القرآن بأفضل الطرق، ومنها التفسيرات اللغوية وما تتيحه لنا من وسائل لإدراك المعاني وفي هذه النماذج زاد فيها السّمين عن الأولى استشهاده بكلام العرب حتى يقرب المعاني من خلال الأمثلة والأقوال التي ورد فيها ذكر أو شرح هذه الألفاظ ومن هذه الآيات:

¹ - نفسه، ج9، ص:273.

قوله جَلَّ جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا خَوْفًا وَبُخًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا خَوْفًا وَبُخًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا خَوْفًا وَبُخًا﴾ الآية 08: زاد

رحمه الله في توضيح معنى الآية، وتقديم أوضح تفسير لها حتى يرسم لنا أقرب صورة لحال هؤلاء المغفلين. فراح يركّز على شرح هذه اللفظة بمختلف الوسائل اللغوية فعرض لمعناها داخل سياق الآية، وكيف وصلوا لهذه الحالة من ارتفاع رؤوسهم إلى فوق وزاد على ذلك ما زاد في فائدة فهم الآية؛ من خلال عودته إلى المعنى اللغوي لهذه اللفظة. وذكره لأقوال العرب التي وردت فيها هذه اللفظة؛ كما استعان بأقوال العلماء والمؤلفين في ذكرهم وشرحهم لها. وكلّ هذه المميّزات ساعدت السّمين في شرحه لهذه اللفظة وبلوغ مرامه وغاية كلّ قارئ في فهم الآية الكريمة.

قول جَلَّ في علاه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا خَوْفًا وَبُخًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا خَوْفًا وَبُخًا﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا لِلَّهِ ذُلًّا خَوْفًا وَبُخًا﴾ الآية 72. كما في المثال السابق بنفس الوسيلة ولنفس الغاية

اعتمد رحمه الله لتفسير الآية وكشف معناها وإبراز مقاصدها على الوسائل اللغوية للغة العربية؛ فشرح معناها في سياق الآية لتدلّ على "مركوبهم كالحلوب والحصور"⁽¹⁾. ثم ذكر ما تقوله العرب إمّا على وجه الاستشهاد أو لتقريب المعنى بذكر أمثلة لهذه اللفظة. فمن أقوال العرب: ركوب وركوبة، وركبي وحلبى وركبانة، وحلبانة،⁽²⁾. وحرصاً منه على هذه الغاية الشريفة قرّب معنى الآية أكثر بذكره لأقوال العرب فيها في شعرهم، ومنه قولهم:

ركبانة حلبانة، رُفوف
تخلط بين وبر و صوف.

¹ - السّمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 285.

² - ينظر: المصدر نفسه.

فبهذا لا تُترك ثغرة في أذهاننا تدلّ على غموض هذه اللفظة لدينا. وإنما اتضحت لدينا بالمجرد والملموس. وهذا لتوضيح معناها بوسائل معنوية وملموسة.

قوله جلّ جلاله: ﴿يَسْأَلُكَ الْمَلِكُ بِمَا أُكْرِمُكَ وَالْمَلِكُ الْمَسْكُوتُ﴾¹ ﴿يَسْأَلُكَ الْمَلِكُ بِمَا أُكْرِمُكَ وَالْمَلِكُ الْمَسْكُوتُ﴾¹ كما في الآيات الأخرى حرص السّمين على شرح هذه اللفظة ملماً بما تمكّن من وسائل لغوية. فأشار إلى أصل الفعل وصيغته التي ورد بها ثم عرض مختلف المعاني التي يحملها هذا الفعل موضعاً ذلك أكثر بأقوال العرب. ومن خلال هذا كلّه تظهر لنا السّمة اللّغوية وأهميّة هذا العلم وفائدته في التّفسير، فقد كان أداة لفهم النّص القرآني واكتشاف أسرار لغته وألفاظه.

ثالثاً: ذكر دلالة اللفظة خارج سياق الآية: فكان لتفسيره لبعض الآيات يذكر معنى اللفظة مباشرة. لكنّ خارج السّياق أي المعنى اللّغوي المتّفق عليه والمستعمل لدى العرب أو في المعاجم اللّغوية، وظهر ذلك في الآيات:

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ الْمَلِكُ بِمَا أُكْرِمُكَ وَالْمَلِكُ الْمَسْكُوتُ﴾¹ ﴿يَسْأَلُكَ الْمَلِكُ بِمَا أُكْرِمُكَ وَالْمَلِكُ الْمَسْكُوتُ﴾¹ ففي هذه الآية نبّه إلى قراءة هذه اللفظة عند لغة أخرى باللفظة "الأجدات" ثم شرح اللفظة ينسل"⁽¹⁾. ومدلولها عند العرب مستعينا في ذلك بالشرح والتّمثيل.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُكَ الْمَلِكُ بِمَا أُكْرِمُكَ وَالْمَلِكُ الْمَسْكُوتُ﴾¹ ﴿يَسْأَلُكَ الْمَلِكُ بِمَا أُكْرِمُكَ وَالْمَلِكُ الْمَسْكُوتُ﴾¹ ليزيل عنّا السّمين الإبهام حول هذه اللفظة. أمّا

¹ - ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 174، 175.

لغرابتها لدينا، وإمّا زيادة في إيضاح معناها فتطرّق إلى قراءاتها التي حوت اختلافات حول كيفية جمعها، وهو ما يزيل عن هذا الإبهام ليوضح لنا معناها وجمعها.

قوله تعالى: ﴿...﴾

﴿...﴾

﴿...﴾ الآية 56: وكذلك بسبب اختلاف القراءات لهذه اللفظة والذي يظهر

في تغيير الحركات، وهذا ما يؤدي إلى الاختلاف في طريقة جمع كلّ لفظة منها وإعطاء معنى جديد بحسب ما تقضيه هذه الحركات داخل هذه البنية فحاول رحمه الله أن يستدرك ذلك. ويوضح معنى كل منها من خلال الإشارة إلى جمعها ومعناها.

رابعاً: ذكر دلالة اللفظة بصيغ أخرى:

رغبة منه رحمه الله على أداء هذه الأمانة، جمع السّمين في شرحه لألفاظ القرآن بين مختلف الوسائل اللّغوية حتى يلمّ بالمعنى ويوقن بإيصال المعنى للقارئ وورد هذا في تفسيره للآيات منها:

قوله تعالى: ﴿...﴾

﴿...﴾ الآية 09: فجمع فيها بين علم الصّوت، وعلم اللّغة، إذ عرض

قراءة هذه اللفظة بالغين وبالعين وذكر معنى كل منهما، وربطه بتفسير هذه الآية. فأما قراءتها بالغين تفسّر الآية بأننا " غطينا أبصارهم "(1). أمّا إبدالها بالعين استدلالاً على " ضعف البصر "(2).

واستشهد لذلك من أقوال العرب إذ يقال: " عشي بصره وأعشيته أنا "(3).

¹- السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص: 249.

²- نفسه.

³- نفسه.

قول المولى عز وجل: ﴿قُلْ أَعْتَدْتُمُ لِكُلِّ قَوْمٍ نَارًا خَالِدِينَ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا أَعْيُنٌ مُّقَاتِلَةٌ فَلَمَّا كَانَتْ فِي حَرِّ النَّارِ ابْتِغَاءَ مَرْحٍ أَقْبَضْتُمُهَا قِوَامًا وَمَكُودًا حُمْرَ مُقْتَدٍ ۚ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُّؤْتَمِدُونَ ۚ﴾

رجع السّمين في شرحه لهذه اللفظة إلى ما استطاع من الوسائل اللغوية لشرحها، فجمع بين الصرف ليبين أصل الكلمة واشتقاقاتها، ثم شرح المعنى اللغوي الذي تدلّ عليه في كلّ مرة مرتبطاً بسياق الآية، وهذا الاختلاف بسبب تغيير أحد حروف الكلمة ما أدّى إلى تغيير بنيتها وهو أثر صوتي كان سبباً في تغيير معنى اللفظة، ثم ربطها بسياق الآية لتعطي معنى آخر.

المبحث الخامس: أثر علم البلاغة في تفسير سورة يس في كتاب الدر المصون

للسّمين الحلبي

كغيره من العلوم العربية، كان لعلم البلاغة بفنونه حظّ خدمة تفسير السّورة التي بين أيدينا، فقد عمد إليه السّمين في كتابه في ثنايا شرحه لبعض الآيات والأساليب التي جاءت بها مُظهرة إعجاز القرآن الكريم في أساليبه وبلاغته.

أما تقسيمنا للمبحث فكان كالآتي:

أولاً: علم المعاني:

1.1- الأساليب: يميّز القرآن الكريم بأسلوبه وقدرته على التعبير عن المعاني والمقاصد ممّا يمكنه من حمل الرسالة السماوية وإقناع منكريها. والنقى كثيراً مع البلاغة في مباحث عدة بل ومتفوقاً على من برع في الفصاحة والبلاغة من العرب وهذا قطرة من قطرات دلائل الإعجاز القرآني، أما

في سورة يس"، في كتاب الدار المصون" وردت آيات تجسّد هذه الخاصة الأسلوبية للقرآن الكريم. وذلك من خلال مباحث حاولنا شرحها والتعليق عليها ملتصقين في ذلك هذا الجمال الأسلوبي والإعجاز التعبيري. ومن هذه الأمثلة نجد:

1.1.1- تأكيد الخبر بأكثر من مؤكد: يظهر ذلك من خلال قوله تعالى في الآيات

الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأَعْيُنِي وَمَا أَنَا بِمُبِينٌ﴾

البلاغة العربية هي الأساليب حيث أعطت لها جانباً مهماً في الدراسة، وعلى أثره قسّمت الأساليب إلى خبرية التي تحتل الصدق والكذب وإنشائية لا يُعتمد فيها هذا المعيار. وغايتنا في الإخبار أن

نوصل معنى تقصده للمتلقي، وللقرآن الكريم معان عظيمة زاد في تميّزها الأسلوب القرآني الفريد.

ولحرص القرآن العظيم على تبليغ الرسالة السماوية حمل فنون التعبير وأسرار الإقناع. ومثاله ما ورد في هذه الآية الكريمة حينما عنيت بالإخبار بل وأكدته بأكثر من مؤكد اعتباراً لمدى جحد وإنكار أهل القرية للرسالة، فنلاحظ في هذا الموضع تكرار الآية " إنا إليكم مرسلون" تماشياً مع قول

وجحد أهل القرية، فإذا كان قولهم مجرد الإنكار فقط قابلهم الرسل بتأكيد إرسالهم بمؤكد واحد "إن"، أما في الموضع الثاني جاءت الآية بأكثر من مؤكد وهو الحرف "إن" مع " اللام المؤكدة " وذلك لمبالغة الكفار في إنكارهم للخبر. " حيث أتوا بثلاث جمل، وكل منها دال على شدة الإنكار"⁽¹⁾. ولذلك قابلهم الرسل بزيادة التوكيد، فأتوا ب " أن " واللام "⁽²⁾. وكلّ هذا لتمكين المعنى وتأكيد لدى الملتقي وهنا أصحاب القرية التي أرسل إليها المرسلين فكذبوهما فعزّز الله بمرسل ثالث لتأكيد الرسالة السماوية، ومثلما عزّز الإرسال عزّز تأكيد حقيقته في القرآن بتأكيد خبره بأكثر من مؤكد.

2.1.1- الالتفات:

قوله جلّ جلاله: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَدَّبْتُ الْقُرْآنَ بِأُولَئِكَ فَمَنْ أَسْفَهَا فَهُمْ أَسْفَاهُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁽³⁾ في هذه الآية نُقل الكلام من التكلم إلى الغيبة وذلك من خلال أسلوب الالتفات، وبمعرفتنا لهذا الأسلوب وفي هذه الآية نعلّل عودة الضمير في الآية الكريمة، إذا الأصل فيها كما قال الزمخشري "من ثمرنا" وذلك لما سبقها من " وفجرنا " و " جعلنا " فالعائد من الضمير هو المولى عزّ وجل وبذلك نصل إلى تأويل الآية بمعنى: " لياكلوا مما خلقه الله من الثمر"⁽³⁾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقْوَاهُ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾⁽⁴⁾ وفيها إختلاف بين العلماء بين أسلوب التفات

¹ - الألويسي البغدادي، روح المعاني، ج22، ص:222.

² - السمين الحلبي، الدر المصون، ج9، ص: 251.

³ - ينظر: السمين الحلبي، الدرّ المصون، ج9، ص:267.

وعدمه^(*)، أمّا ما ظهر من كلام السّمين فلم يجعلها أسلوب التفات، وإنّما اتخذ من صرف الرجل للكلام عن القوم مزيّة ليكون الكلام أسرع قبولاً. فالتكلم بضمير المفرد بدل الجماعة المخاطبة له أثر لدى مخاطبيه تتمثل " في إظهار تल्प الرجل المؤمن بهم. حيث أورد الكلام في معرض المناصحة لنفسه، وهو يريد مناصحتهم، وذلك أدخل في أمخاض النّصح حيث لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه⁽²⁾. فكأنّما حرّك فيهم الوجدان بنصحه بعدما خاطب عقولهم بحقيقة لا تخفي ولا يخفيها كائن " فيُسمعهم الحق على وجه لا يثير غضبهم ويكون أعون على قبولهم إياه حين يرون أنه لا يريد لهم إلا ما يريد لنفسه⁽³⁾. وهنا يبرز لنا أثر هذا الأسلوب وما تصنعه طريقتنا في اختيار أساليب الكلام وفنونه في تبليغ المعنى والتأثير على الملتقي. فالمعنى واحد والغاية واحدة لكن اختيار الطريقة المناسبة يصنع الفرق في النتيجة.

ثانياً: علم البيان: كما نجد علم البيان في تفسير السورة الكريمة حيث تنوعت مباحثه بين الاستعارة والمجاز، والتشبيه.

1- الإستعارة

قوله تعالى: ﴿...﴾
 ﴿...﴾
 ﴿...﴾

* وعلى هذا المعنى بني تأويل الآية بعده " أتخذ " وجعله كلام مبني على الأول.

² - حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، دط. القاهرة: 1998، دار الفكر العربي، ص: 149.

³ - محمد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج 22، ص: 228.

هذا الفنّ البلاغي في رسمه لنا حالة القمر في هذا المنزل أو المرحلة خاصّة وأنّ العرب لم تعط " للقمر اسمًا يعرف به في آخر لياليه بخلاف أوّل أجزاءه المسمّى هلالاً" (1). فدفع عنّا حيرة تصوّر حال القمر في هذه المرحلة من خلال تشبيهه لنا بالعرجون القديم، فشبه به القمر في ثلاثة أشياء دقّته، استنقواسه، واصفراره.

من خلال هذه المباحث التي مرّت بنا، يظهر لنا أثر علوم العربية في تفسير السّورة الكريمة، حيث كان لكلّ علم ميزته وأثره عن غيره من العلوم. فكلّ كيف خدم هذه الغاية الشّريفة، من خلال مباحثه المتنوّعة ووسائله في ترجمة مقاصد الآيات واحتواء أسرار القرآن وجمال أساليبه وإعجازه اللّغوي. وتتوسّع فائدة وخدمة اللّغة العربيّة في تفسير القرآن الكريم، وذلك لتعدّد مشاربها بتعدّد علومها. ولأهمّيّتها جعلها العلماء والمفسّرون من أهمّ شروط التّفسير، ومن أهمّ العلوم التي ينبغي أن يكون المفسّر عالمًا بها، ومتقنًا لها. فتعدّد أقوالهم فيها، ما جعلهم يلمّون بكلّ علومها بدءًا بالجانب الصوتي، الصرفي، والجانب التركيبي. ولأنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ فلا بدّ للمفسّر أن يتمكّن من مختلف العلوم العربيّة، ومن أهمّها: "اللّغة: لأنّ بها يعرف شرح مفردات الألفاظ ومدلولاتها، والنحو يعرف به اختلاف المعنى باختلاف الإعراب، فلا بدّ من اعتباره علمًا مهمًا في التّفسير. وكذا التّصريف، خاصّة الاشتقاق: لأنّ الاسم إذا كان اشتقاقه من مادّتين مختلفتين. اختلف المعنى باختلافهما (...)", أمّا في البلاغة نجد علم المعاني: لأنّ به يُعرف خواص تراكيب الكلام من جهة إفادتها للمعنى. والبيان: لأنّ به يعرف خواص التراكيب من حيث اختلافها بحسب وضوح الدّلالة وحقائقها. والبدیع: لأنّ به يعرف وجوه تحسين الكلام" (2).

1- نفسه: ج2، ص22.

2- ينظر: جلال الدّين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح: شعيب الأرنؤوط، ط1. لبنان: 2008م، مؤسسة الرّسالة، ج4، ص: 227.

فعلم الصّوت الذي يعنى بدراسة أصغر وحدة في النظام اللّغوي، قدّم خدمة ساهمت في حصول الدّلالة، و ذلك ببيان معاني الآيات، كما كان له أحياناً أثر في إبراز الفروقات المعنويّة، من خلال سيماته المتمثّلة في: الحذف، الزّيادة، الاستبدال، التّخفيف، والتّشديد. فكّلها مباحث يتميّر بها علم الصّوت، وكلّ ذلك، " يدلّ أن الأصوات تابعة للمعاني، فمتى قويت، ومتى ضعفت ضعفت... زادوا في الصّوت لزيادة المعنى، واقتصدوا فيه لاقتصادهم فيه "(1). وحتىّ يتّضح لنا الأثر الصّوتي في تفسير القرآن الكريم استفدنا أيضاً من اختلاف القراءات التي في مجملها تعبّر عن اختلاف الأصوات ومواقعها وكذا الفرق بين تخفيفها، وتثديدها، والوقوف على حرف دون آخر، كما هو الحال، بين " الهاء " و " التاء "، وبين الفصل والوصل، وبين الإدغام والإظهار، كما أنّها كانت محل اختلاف بين القراء، وسبباً في اختلاف المعاني التي يمكن أن تُفسّر بها الآية مع كلّ حالة عبّرت عن قراءة معيّنة.

ومن خلال خصائص الصّوت، تبيّن لنا أيضاً، ما للصّوت من أثر في بنية الكلمة وصيغتها. وهذا ما نجده في علم الصّرف، كون هذا الأخير يعنى: ببنية الكلمة التي يتغيّر معناها بتغيّر أحد حروفها، وإرجاعها إلى أصلها.

هذا ما وقفنا عليه كثيراً في تفسير الآيات " ياويلنا " " يا حسرة "؛ فهي دلائل توضّح لنا ما يتميّر به علم الصّوت، ومدى ارتباطه بالمعاني، وبيان مكانته فيها من خلال خصائصه ومباحثه. وما لذلك من أثر في تفسير الآيات، وبيان معانيها، وسبب اختلافها في القراءات القرآنيّة وتقديم تأويلات في كلّ موضع.

فكلّ هذه المميّزات تهدف إلى فهم معنى النّص القرآني، وذلك لشدّة ارتباطه بالدّلالة، ودليله ما ساهم به في تفسير هذه السّورة. فأحياناً كان سبباً في اختلاف المعاني في اللفظة الواحدة من

¹ - ابن جنّي، المحتسب، ج2، ص 210.

خلال سميات حروفها: كالتشديد، التخفيف، الإظهار، والإدغام، وأحياناً يعطي لنا معانٍ متفرقة بسبب حذف الحرف، أو زيادته، أو استبداله. في حين يعطي معانٍ جديدةٍ إضافية، كمعنى المبالغة هذا ما نجده في تفسير الآيات: "فجرنا " تنكسه".

كما لجأ السّمين الحلبي في كثير من المواقع إلى علم الصّرف بمختلف مباحثه حتى يشرح معنى الآية معتمداً عليه أساساً تارةً، وتارةً أخرى يجعله وسيلة لتقريب المعنى؛ مثلما نلاحظه في مواضع إشارته للأسماء من كونها مصدرًا، أو الصّيغ التي وردت بها، وكذا شرحه لكيفية حصولنا على لفظة معينة، وما طرأ عليها من تغييرات، مثلما التمسناه في قوله تعالى: "فما استطاعوا مضيًا" الآية 67: إذ قال فيه: "والعامّة على مضيًا"، بضمّ الميم وهو مصدر على فُعول، أصله: مُضُوي، فأدغم وكُسر ما قبل الياء نحو: لقيًا.

كما اعتمد على علم الصّرف في بيان المعاني والتّفريق بين الألفاظ من خلال أبنيتها والمعنى الذي يحمله كلّ وزن وما يتمييز به عن غيره، ففي قوله تعالى: "طائركم" الآية: 19: فلفظة "طائر" هي صيغة لاسم الفاعل ولو جعلنا منها وسيلة لمعرفة مقصود الآية. فإنّ محصول الدلالة وما تعبّر عنه هذه اللفظة هو "ما طار لكم من الخير والشرّ فعبر عن الحظّ والنصيب" فهو من أفعالكم وليس من أجلنا بل بكفركم⁽¹⁾ ومن خلال كلام السّمين وما أورده في شرح الآية بهذا المصدر، نلتمس موافقته لهذا المعنى وجعله المقصود من الآية من خلال ما عبّر عليه هذا المصدر. في حين أنّّه إلى توجيه القراء الأقرب وبنفس المادّة والوسيلة وهي علم الصّرف فراح يفسّر هذا الاتجاه، وبيّن موقف القراء للآية بهذه الصّيغة، مبيّنًا أصل الكلمة، وما طرأ عليها من تغييرات حتى قدّمت لنا هذه المادّة فأصل "اطيركم" هو الفعل "تطيّر" وبسبب الإدغام أبدلت "التاء" "طاء"، وسكّنت وقُلبت همزة الوصل فصار "اطيّر"، وبذلك نتحصّل على المصدر "اطيّرًا".

¹ - ينظر: أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص: 313.

كما يظهر اعتماد السّمين الحلبي على علم الصّرف من خلال بيان أثره في تفسير القرآن وإيضاح المعنى، فاعتمد عليه في بيان أصل الأبنية الاسميّة والفعلية، مثلما في الفعل " يدعون ". فمن خلال إدراك القارئ المعاني المقترحة مع كلّ صيغة ووزن، يتفطن بنفسه إلى المعنى المراد، فالصّرف سهّل له هذه الغاية، من ذلك تصريف الأسماء وما يقتضيه من مفرد وجمع. وأبنية أسماء الجموع، فمثلاً في قوله تعالى: " ركوبهم " الآية 72: فسّر الحلبي معناها وصيغتها وعرض مختلف القراءات لهذه اللفظة التي تُعرب عن أهمّ الاحتمالات التي ترد بها هذه اللفظة. فيرجّح ما رآه صواباً ويوجّه الأخرى. مستنداً في ذلك بكتب التفسير، والكتب اللغوية، وما ورد من كلام العرب، وكلّ ما يؤكّد صحّة قوله وفي نفس قسم تصريف الأسماء، نجد باب الاسم بين التذكير والتأنيث، حيث ساهم مساهمةً في تفسير القرآن عامّة والسورة خاصّة، وبيان معانيها. وهذا ما التمسناه في قوله تعالى: " الأخضر " الآية 80: هذه الآية التي عبّرت عن وحدانيّة الله تعالى وقدرته. إذ جعل من الشجر الأخضر ناراً. فمن خلال هذه اللفظة، وتمييزها عن غيرها، استطاعت التعبير عن المقصود لفظاً ومعنى. فعلى الرّغم من تغيير الكلمة، كان حصول الدلالة. فمن قرأ " خضراء بالتأنيث كان لرعاية المعنى، أمّا التذكير فلرعاية اللفظ "، وإضافة إلى هذا، فإنّ هذه اللفظة اسم جنس، يجوز تذكيرها وتأنيثها.

فكلّها مباحث ووسائل أهلت علم الصّرف لخدمة القرآن الكريم من خلال المعاني التي يقدمها في كلّ حالة، والفروقات التي تتجلي لنا أثناء اختيارنا لقسم دون آخر، خير دليل في ذلك الفروقات بين اسم الفاعل واسم المفعول، وما يترتب عليه من أثر في تفسير الآيات التي مرّت علينا.

كما ظهر لنا هذا الأثر، ومزية الصّرف في القضايا الصرفيّة التي نبّه إليها السّمين في الدرّ المصون، حتى يذكر القارئ ويتفطن إلى المعنى. ولا يتأتّى ذلك إلا من خلال القواعد الصرفية ومثاله قوله تعالى: " وهي رميم " 78: فهنا السّمين الحلبي ينبّه إلى أنّ هذه اللفظة اسم وليست

صفة، وليستدلّ على ذلك استشهد بقاعدة مهمّة في الوزن " فعيل ". فلو قال قائل: أنّ هذه اللفظة هي صفة، سي طرح السؤال مباشرة، لماذا لم توثّق إذن؟ على خلفية معرفتنا بأنّ الصّفة تتبع الموصوف، وبهذا فإنّ هذه اللفظة هي اسم، أمّا عن تأنيثه وتذكيره، فلأنّ هذا الوزن يستوي فيه التذكير والتأنيث.

وختماً لهذا فإنّ " رميم " اسم يطلق على ما بليّ من العظام، وهو غير الصّفة، لأنّ الصّفة منه، هي " الرمة والرّفات ".

وهي نتيجة لا تخفى على مدرك اللّغة العربيّة وعلومها والعلم بقواعدها، التي تساعده في التعليل، والاختيار، والمقارنة بين مختلف الحالات التي تصادفه، فاستناد إلى استواء التعريف والتذكير في صيغة " فعيل " استنتجنا اسميّة هذه اللفظة ومدى إنكار المنكر. ف " إحيائنا للعظام ناكراً من أحوالها ما تبعد معه من الحياة غاية البعد، وهو كونها رميمًا أي بالية أشدّ البلى ⁽¹⁾، لنستشفّ مزية الصّرف في وضوح الدلالة وبيان المقاصد، بالرغم من وجود هذا التشابه.

وساهم علم النّحو من خلال مسائله النّحوية وأثرها في التفسير وبيان معاني الآيّة، وتعدّدت هذه المسائل وتوسّعت بتوسّع مباحث هذا العلم، التي أخذت حصّة الأسد في هذا الكتاب، إذ غلب عليه علم النّحو، خاصّة الإعراب وذلك لكثرة ارتباطها بالمعاني وعلى غرار هذا الكتاب نلاحظ وجود هذا الباب أيضاً في كتب معاني القرآن.

ومن خلال تصفّحنا لتفسير سورة " يس " في كتاب الدرّ المصون استقرّنا بعض هذه المباحث، منها الإعراب بشقيّه: الذي ذكر فيه وجه إعرابي واحد، أو ما اختلف فيه باختلاف الأوجه ما أدّى إلى اختلاف الدلالة مع كلّ رأي ووجه إعرابي.

¹ - أبو حيّان الأندلسي، البحر المحيط، ج7، ص59.

وهذا ما يبرز لنا شدة ارتباط الإعراب بالمعاني، وتلك هي حقيقته " إذ بمعرفة حقائق الإعراب تعرف أكثر المعاني، ويتجلى الإشكال فتظهر الفوائد، ويفهم الخطاب وتصح معرفة حقيقة المراد"⁽¹⁾، وحقاً قد وقفنا على هذه الحقيقة في هذا البحث. فقد كانت تختلف المعاني مع اختلاف كل حركة إعرابية ويتغير بتغيرها، وأحياناً أخرى كانت تعرب عن مقاصد الآيات. لأن اللفظة وردت بحركة دون الأخرى، حيث استطعنا بهذه الحركات أن نعرف رتبة كل لفظة ونعرف موقعها من التركيب، وبالتالي دلالة الجملة ومعنى الآية.

ومن جهة أخرى كانت للفظة الواحدة في الآية عدة أوجه إعراب محتملة، وذلك لاختلاف تأويل الآية بين المفسرين، ظهر جلياً في القراءات القرآنية للآية. فكل قارئ يفسر الآيات على حسب وجهة نظره التي أعربت عنها الحركات الإعرابية.

وأحسن مثال لذلك قراءة الآية " يس " إذ نجدها بعدة حركات، وكل حركة إلا وعبرت عن تفسير هذه اللفظة عندهم، فمنهم من جعلها حروف مقطعة ومنهم من جعلها اسم من أسماء الرسول صلى الله عليه وسلم.

كما كان يتبع اختلاف الحركات اختلاف معاني الآيات، ونرى ذلك التغير التام، والتحول في المعنى بين كل حركة وحركة أخرى. ومن المباحث التحوية نجد حروف المعاني وما لها من أثر في توجيه معنى الآية، والتمسنا ذلك في أمثلة كثيرة في هذه السورة ووقفنا على هذا الأثر. فكما هو معهود أنّ الحروف قسمين، حروف مباني تتمثل في الصوامت والصوائت وحروف المعاني يكون له معنى في نفسها ما يؤهلها لإعطاء معنى في الجملة التي ترد فيها. وهذا ما التمسناه في

¹ - باسل عمر مصطفى المجابدة، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة المائدة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة غزة: 2009، ص74.

هذا المبحث. إذ كان الحرف الواحد يحمل عدّة معاني، فيؤثّر في توجيه معنى الآية ويحمّلها معانٍ مختلفة يختلف باختلاف ما يتضمّنه هذا الحرف.

وفي جانب نحوي آخر نجد الإحالة الضميريّة من خلال عودة الضمير، ودورها في الإحالة على المشار إليه، هذا ما نجده في تفسير الآيات. فهو يربط ما قبله بما بعده أو أن يحيل إلى ما قبله، وأحياناً يوجّه أكثر من عائد في الآية. يحتمل أن يعود عليه هذا الضمير. ولا بدّ لنا من اختيار أحدها فقط. وهنا يرجع المفسّر إلى وسائل لغوية أخرى كالصّرف والنحو ليعينه على إدراك واختيار العائد من الضمير وبالتالي سيصل إلى المعنى، و أحياناً يعتمد على العائد من الضمير في تفسير الآية ويحصل على المراد منها وذلك بحمل الموضع الوارد في الآية. وأحسن مثال لذلك قوله تعالى: " فهي إلى الأذقان " فهنا نقع بين عائدين، إمّا أن يعود الضمير على الأيدي، وإمّا على الأغلال وكلّ عائد يفسّر الآية بمعنى خاصّ، وليس هذا فقط بل كان أداة لتصورنا حالة هؤلاء المغلّين بطريقة ملموسة وكأنّنا نحضر ونعيش معهم هذا الموقف، وكذلك في قوله تعالى: " من ثمره ": من خلال معرفتنا للعائد، استطعنا أن نعرف المقصود " من النّمر " إمّا أن يكون ثمرة النّخيل والأعناب أو ثمر الجنّات؛ ويمكن أن يتغيّر المعنى المقصود كلياً ليصبح معنى آخر بسبب اختلاف تأويلنا للعائد من الضمير في كل حالة، كونه يحتمل عدّة إحالات أدّت إلى تعدّد تأويلات الآية.

من كلّ هذا يبرز لنا فضل علم النّحو في توضيح المعنى وبيان مقاصد المتكلّم وأثره في معرفة الفروق بين مختلف الحالات التي تصادفنا باشتراكها في موضع واحد وتنازعها، وهذا ما يجعلنا نلجأ إلى وسائله حتى يفكّ هذا الاختلاف وينجلي لنا المراد.

ومن هذه الوسائل التي ساهمت في تفسير السّورة؛ الإعراب سواء المباشر أو الذي حمل عدّة أوجه، اختلف كلّ وجه بمعناه عن الآخر، كما تفتّن الحلبي إلى أهميّة الإعراب من خلال معرفة

المقصود وتوجيه الآية، إذ بالتمييز بين مراتب ومحلّ الإعراب لكلّ مفردة يتمكّن من معرفة المقصود. فالمعنى الذي يقدّمه الفاعل يختلف عن المعنى الذي يقدّمه المفعول، واللفظة التي في محلّ نصب الحال تختلف في معناها وشروطها عما هي عليه النّعت، ولو أن السمين الحلبي كان مشيراً في أكثر من مرّة إلى جوهر الاختلاف بين مختلف المتشابهات وقواعد كل منها على حدة. كما يساهم الجانب اللّغوي في تفسير القرآن الكريم، من خلال تقديم دلالات القرآن وألفاظه، وهذا ما رأيناه من خلال تفسير سورة "يس" في هذا الكتاب.

فقد اهتم بالمفردة القرآنية من جميع زواياها الدلالية فهو، إمّا أن يربط معنى اللفظة بالسياق القرآني لها فيفسّر معناها انطلاقاً مما يقتضيه موضعها، أو أن يستشفّ معنى اللفظة من خلال سياق الآية، واستعمالات العرب للكشف عن معنى هذه اللفظة، أو أن يقدّم لنا مباشرة المعنى المعجمي لها، بعودته إلى المعاجم وما قاله العلماء فيها من شروحات.

أمّا في حالات أخرى، وكما رأينا في هذه السّورة جمع بين مختلف هذه الوسائل المعجميّة في أية واحدة أو في تفسيره للفظه واحدة من هذه الآية*.

كما اهتم بكشف غوامض المعاني في هذه الآيات، من خلال بيان معاني ألفاظها، ودلالاتها في السياقات المتعدّدة للآية وهذا لما تتميز به اللّغة العربيّة من ثراء لغوي، ما يجعل للكلمة الواحدة عدّة معانٍ تختلف باختلاف السياقات التي ترد فيها، ولحرص علمائنا على تفسير القرآن وألفاظه بأدقّ معانيه، عمّلوا على استنباط دلالات ومقاصد الآيات من خلال ما يتيحها هذا الجانب اللّغوي. فالقرآن الكريم أنزل بلغة عربيّة طبع بسماتها ومتفوّقا بإعجازه في لغته وأسلوبه فاستلهم العلماء من العربيّة وسائلها لفهم النصّ القرآني وإدراك معاني ألفاظه ودلالاتها، كما ارتبط هذا البحث بالمعنى

* لم يقتصر العمل المعجمي في التفسير على هذه المجالات فقط، وإنما رُبط هذا القسم بحسب ما وُجد في تفسير هذه السورة في هذا الكتاب، إذ للمبحث اللّغوي في تفسير القرآن عدة مجالات من أهمها "غريب القرآن" "الوجوه والنظائر" وكذا المؤلفات التي حوت المشترك اللفظي في القرآن، الترادف التضاد... الخ.

بالاختلافات في القراءات لألفاظ القرآن وكان لذلك أثر في تغيير معاني اللفظة وبالتالي تغيير معنى الآية.

فعرض السّمين لكلّ واحدة على حدة، ثم بيّن المعنى المحصل عليه من الآية من خلال دلالة اللفظة فيها، وبهذا يظهر بالتأكيد أثر تفسير الآية الكريمة.

كما احتوى القرآن الكريم بأسلوب راقٍ على فنون البلاغة حيث كان خير شاهد على جمال أسلوب القرآن وإعجازه، وفي تفسير هذه السورة توزّعت الفنون البلاغية على حسب ما يقتضيه كل موضع وكان لهذا أثر واضح في التفسير وبيان المعنى وتقريبه وهذا ما عملته مباحث علم المعاني، ففي بعض آياته ومن خلال خصائصه نقل لنا قصص الرّسل مع أقوامهم، ومدى إنكار هؤلاء للرّسالة، وكيف قابلهم القرآن الكريم بأسلوب بلاغي جميل، وافق بين حرص الرّسل على إيصال رسالتهم وبين شدة إنكار أهل القرية، وذلك من خلال تأكيد الخبر بأكثر من مؤكّد إذ بقدر إنكار أهل القرية، قابلهم الرّسل بتأكيد ذلك، إذ حوت أقوالهم أحياناً مؤكّد واحد وأحياناً استعملوا أكثر من مؤكّد. وفي موضع آخر يتحدّث على حرص نقل هذه الأمانة السماوية لكن بطريقة أخرى تتمثّل في التلطّف في أساليب الكلام، وطريقة التعبير، مثلما رأينا في قوله جلّ جلاله: "ومالي لا أعبد الذي فطرني" فلاحظنا هذا الانتقال في الضمائر من المخاطب إلى المتكلّم على نيّة التصحّح حتى يكون الكلام أسرع قبولاً.

دون أن نتناسى أهمّ الأساليب البلاغية، والقرآنية المتمثّلة في الالتفات، ولو أن تفسير أغلب ما ورد منه في بحثنا هو قسم الالتفات في الضمائر، وما له من مزية في الانتقال بين الأساليب الكلامية من موضع إلى آخر وأثر ذلك في بيان المقاصد ومدى فهمها لدى المتلقي، أمّا علم البيان فكان له أثر في توضيح المعنى وتأكيده إذ جعلنا نرجع بالأزمة ونعيش لحظات نتأمل الآيات ونلمس إعجازها فقرب لنا المعنى، إذ نقله من المجرد إلى الملموس وذلك من خلال

الاستعارة والمجاز والتشبيه، وما لهذه الوسائل البلاغية من أثر في إبراز المعنى ووضوحه وقوتها في رسم الحقائق المجردة.

ومما لا حصانه في دراستنا لمنهج السمين الحلبي في كتابه، أنه كان يعرض الأوجه المحتملة للآية الواحدة. فأما رأيه أو ترجيحاته لم تكن مباشرة - في أغلب الأحيان -، فنجده يقول: يصحّ، يحسن، وهذا هو الأليق بالآية، وهو ضعيف... وأحيانا أخرى لا يتبين لنا الرأي الذي يرجّحه. وفي حالات أخرى لو تأملنا جيّدا في تفسيره لبعض الآيات في عرضه لاحتمالات تفسيرها، نجده يستعمل عدّة ألفاظ للآية الواحدة، فمثلا في الآية: " من ثمره " : 35 يقول في رأي " قيل " وفي آخر " يجوز " ، وكأنّه يجوّز الثاني أمّا الأول فيراه بعيدا في معناه " والله أعلم " .

كما كان يستشهد بأقوال العرب لتأكيد رأي من الآراء، مثلما في قوله تعالى: " من ثمره " : 35، لمن ذهب بالضمير مذهب اسم الإشارة " ذلك " ومثاله قوله رؤبة:

فيها خطوط من سواء وبلق كأنه في الجلد توليع البهق

فقيل له: " كيف قلت " : " كأنه " مع تقدّم خطوط، فقال: أردته كأن ذاك ويملك " (1).

وأحيانا يوجه رأي العلماء حول القضايا، خاصّة النحوية التي توجّه معنى الآية ومثاله ما التمسناه في قوله تعالى: " بما غفر لي " 27: فاستضعف الرأي القائل أن " ما " . هنا بمعنى: اسم موصول " الذي " . كما وافق في نفس الحرف من ردّ على القائل أنّها استفهامية " (2).

أما في آيات أخرى، فلم يكن موجّها لرأي دون الآخر، وإنّما كان مجرّد عارض لهذه الآراء فقط. وكنا في بحثنا هذا عندما نشعر بتوجيهه لبعض الآيات نشير إلى المعنى الذي اختاره أو رفضه في

نهاية كلّ آية. أمّا في حالة عرضه للأراء دون رأيه فلم نشر إلى ذلك. بل اكتفينا بذكر الاختلافات بين العلماء في تفسير معنى الآية.

المبحث السادس: دراسة إحصائية لمدى اعتماد السّمين الحلبي على العلوم العربيّة

يمثّل هذا الجدول دراسة إحصائية لعدد العلوم التي اعتمد عليها السّمين الحلبيّ في تفسيره للآية الواحدة، ولهذا قسّمناه إلى ثمانية أعمدة. فالأول على اليمين وضعنا فيه الآية المفسّرة ورقمها. أمّا الستّة التي بعده فخصصنا كل عمود لعلم من العلوم العربيّة، وجاء ترتيبها حسب ترتيبنا لها في مباحث الفصل الثاني. فكانت على الشكل الآتي على التوالي: علم الصّوت، علم الصّرف، علم النّحو، علم اللّغة، علم البلاغة وهذا الأخير قسّم إلى قسمين: علم المعاني وعلم البيان. وآخر عمود في هذا الجدول على اليسار جمعنا فيه عدد العلوم المعتمدة في تفسير الآية الواحدة. أمّا طريقة عملنا في هذا الجدول أنّنا عندما نجد العلم معتمداً في التّفسير نضع في خانته الرّمز (+)، وفي الأخير نجمع عدد هذه الإشارات لنتحصل على عدد العلوم المعتمدة في تفسير الآية الواحدة،

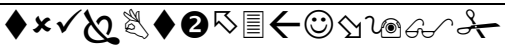
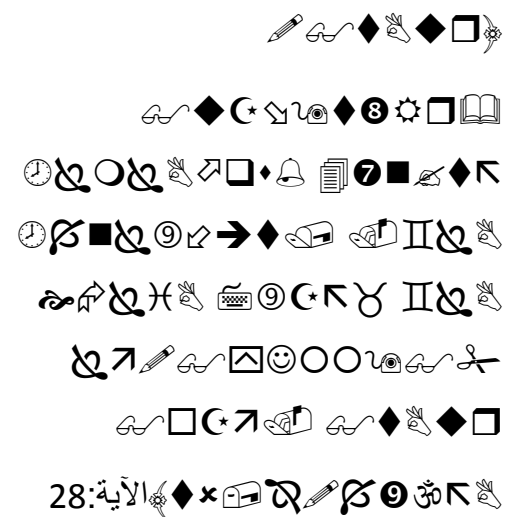

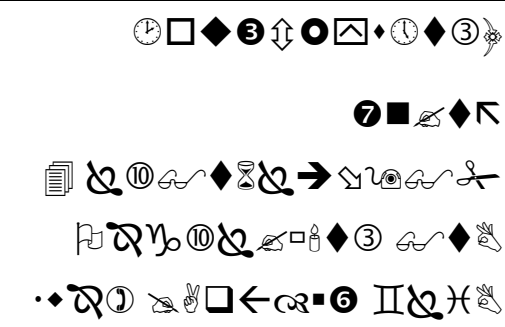
الفصل الثاني: أثر علوم العربية في تفسير سورة يس في كتاب الدرّ المصون (دراسة تطبيقية)

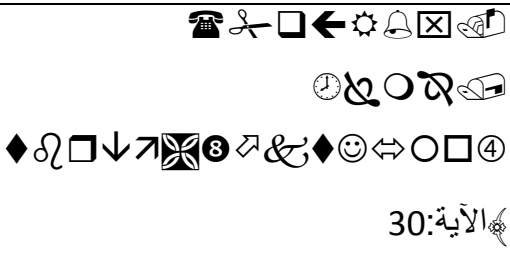

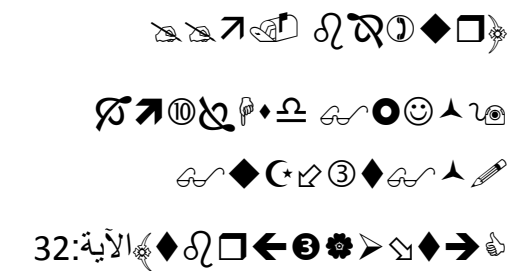
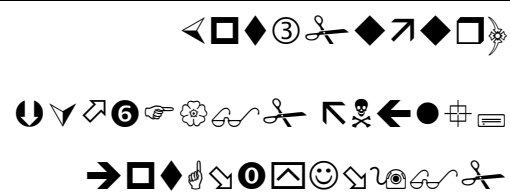
فاستطعنا بهذه الدّراسة الإحصائيّة أن نعرف إلى أيّ مدى جمع السّمين بين العلوم العربيّة في

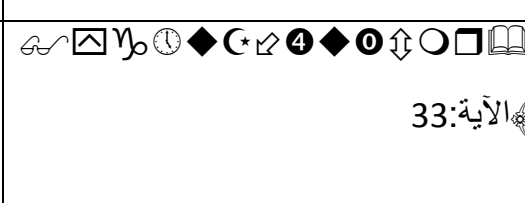
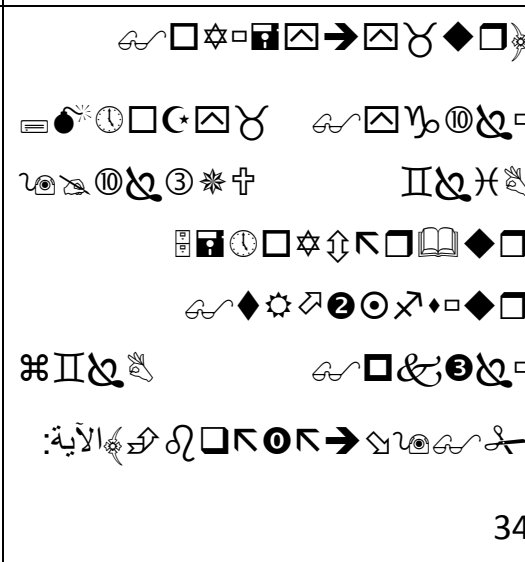
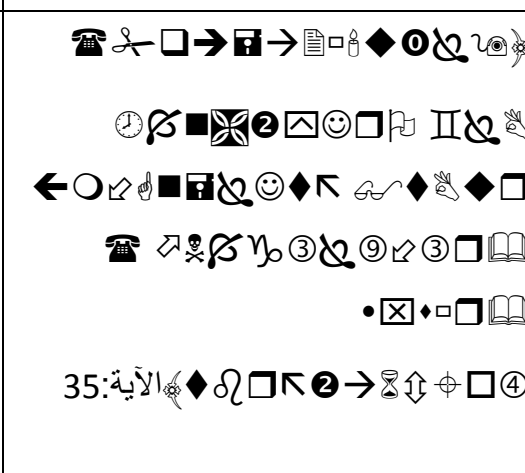
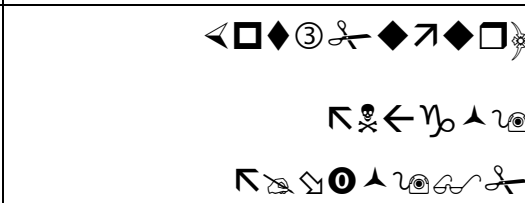
تفسيره للآية وختمنا هذه الدراسة بخاتمة شرحت وبيّنت لنا هذه الغاية.

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النّحو	علم الصّرف	علم الصو	الآية ورقمها
	علم	علم					
03				+	+	+	﴿٣﴾ الآية:01
03			+	+	+		﴿٣﴾ الآية:01 ﴿٣﴾ الآية:02
01				+			﴿٣﴾ الآية:03
01				+			﴿٣﴾ الآية:05
							﴿٣﴾ الآية:06

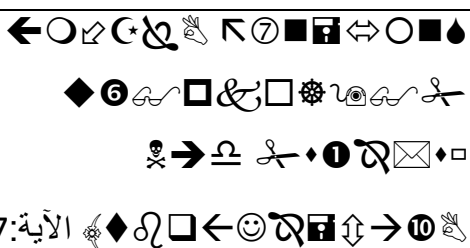
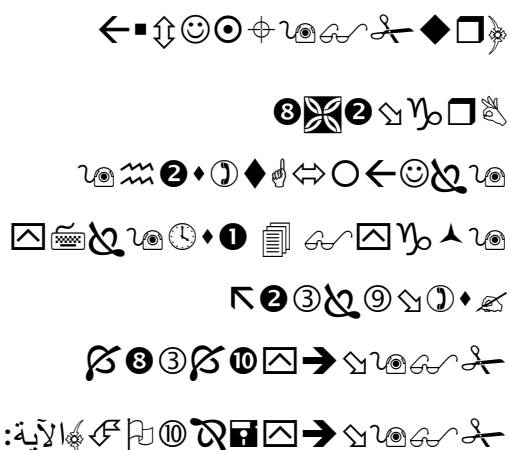
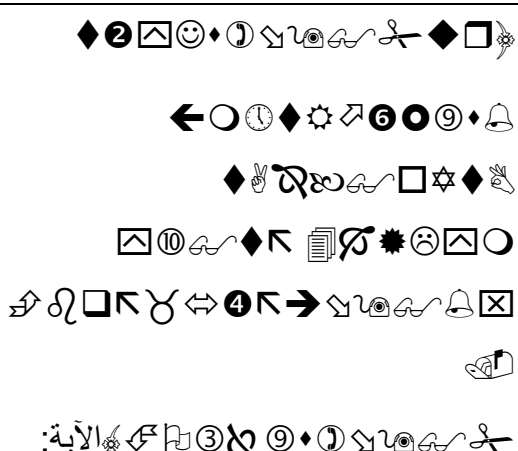
المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
01				+			<p>↔ ٢ ٠ ٢ ٠ ↕ → □ ١ ١</p> <p>•♦ ٢ ٠ → ٢ ٠ ⑥ ٠ ٠ → ٠</p> <p>١٠: الآية: ③ ٠ ٢ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p>
				+			<p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>١٢: الآية: ١ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p>
02			+	+			<p>↔ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>١٣: الآية: ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p>
							<p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p> <p>٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠</p>

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
				+			 الآية: 27
01				+			 الآية: 28
01				+			 الآية: 29
	+						

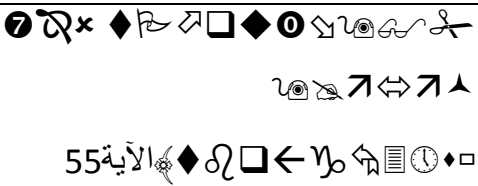


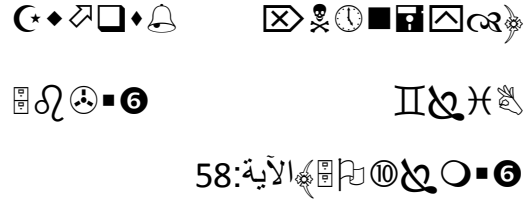
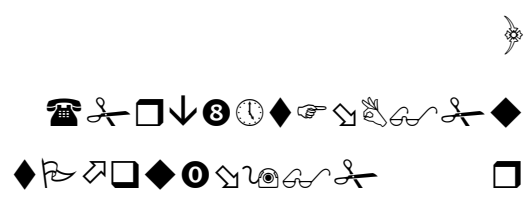
المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعاني					
02				+			 <p>الآية: 30</p>
01				+			 <p>الآية: 31</p>
02				+	+		 <p>الآية: 32</p>
							

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
02				+		+	 <p>الآية: 33</p>
02				+		+	 <p>34</p>
02		+				+	 <p>الآية: 35</p>
							

الفصل الثاني: أثر علوم العربية في تفسير سورة يس في كتاب الدرّ المصون (دراسة تطبيقية)

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
03	+		+	+			 <p>37: الآية</p>
01				+			 <p>38</p>
04	+		+	+	+		 <p>39</p>

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
01				+			<p> </p> <p style="text-align: right;">47:</p>
03			+	+		+	<p> </p> <p style="text-align: right;">الآية: 49: 6 • 3 • 2 • 1</p>
							<p> </p>

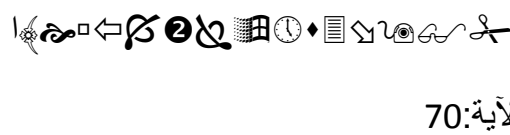


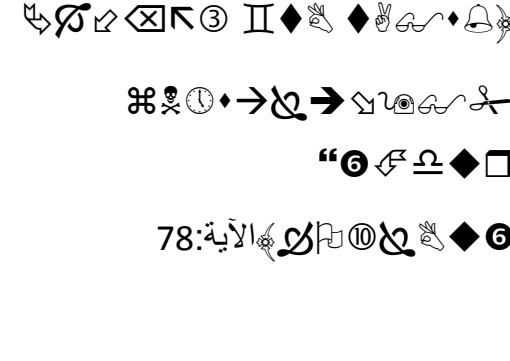

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
03			+	+		+	<p>  55 الآية </p>
02			+	+			<p>  56 الآية </p>
03			+	+	+		<p>  57 الآية </p>
02			+	+			<p>  58 الآية </p>
							<p>  </p>

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
01			+				<p>  </p> <p>59: الآية</p>
02			+			+	<p>  </p> <p>60</p>
			+				<p>  </p> <p>62: الآية</p>
							<p>  </p>

الفصل الثاني: أثر علوم العربية في تفسير سورة يس في كتاب الدرّ المصون (دراسة تطبيقية)

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
01				+			<p> </p> <p> 65: الآية </p>
01				+			<p> </p> <p> 66: الآية </p>
							<p> </p>

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
03			+		+	+	﴿آية:67﴾
01						+	﴿آية:68﴾
01				+			﴿آية:69﴾
							﴿آية:70﴾

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
01				+			 <p>لاية:70</p>
03			+	+	+		 <p>72:الآية</p>
02					+		 <p>73:الآية</p>
02			+		+		 <p>78:الآية</p>
							

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغة	علم النحد و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
02					+		<p>80: الآية</p>
02					+	+	<p>81: الآية</p>
						+	<p>83: الآية</p>

المجموع	علم البلاغة		علم اللّغ	علم النّح و	علم الصر ف	علم الصو ت	الآية ورقمها
	علم البيا ن	علم المعا ني					
02				+			

تحليل الجدول:

من خلال هذا الجدول نلاحظ منهج السمين الحلبي في تفسيره للسورة ومدى اعتماده على العلوم العربية في الآية الواحدة، وله في ذلك طريقتين: إمّا أن يعتمد على علم واحد، وإمّا أن يجمع أكثر من علم في الآية الواحدة. ومن خلال الدّراسة الإحصائية. نجد أنّه فسّر ثمانية وعشرين آية معتمداً على علم واحد في الآية الواحدة؛ و كانت حصّة الأسد لعلم النّحو إذ بلغ عدد تكرار اعتماده في تفسير الآيات عشرين مرّة، لتوزّع ثمانية تكرارات على بقيّة العلوم الأخرى. إذ لاحظنا في هذه الأخيرة أنّ هناك تساوي في الاعتماد بين كلّ علمين، فورد اعتماده على علمي الصّوت واللّغة في هذه السّورة ثلاث مرّات لكلّ منهما؛ أمّا علما الصّرف والبلاغة فاعتمدهما على حدة مرّة واحدة. أمّا الطريقة الثانية فتكمن في جمعه لمختلف العلوم العربية في تفسيره للآية الواحدة، وهذا ما لاحظناه في تفسيره لثلاثين آية من السورة، والتي تباين فيها الجمع بين علمين إلى ثلاثة أو أربعة علوم في تفسير الآية الواحدة؛ وكانت الأغلبية في جمعه لعلمين في الآية الواحدة فبلغت خمسة عشر آية، أمّا جمعه لثلاثة علوم ورد في ثلاثة عشر آية، وجمعه لأربعة علوم كان في ثلاث آيات فقط. فمن

نماذج جمعه بين علمين كجمعه بين النّحو والصّرف، كما في الآية:32، أو بين علم اللّغة وعلم الصّوت، كما في الآية:33، أو بين علم النّحو والمعاني، كما في الآية:35، أو بين علم النّحو وعلم اللّغة، كما في الآية:56، أو بين علم الصرف وعلم اللّغة، كما رأينا في الآية:78، أمّا الجمع بين ثلاثة علوم فنجده بين علم الصّوت والنّحو واللّغة، هذا ما ورد في الآية:57، أو الجمع بين علم الصّوت والصّرف والنّحو، هذا ما نجده في الآية:1، أو بين علم البيان واللّغة والنّحو كما في الآية:37؛ أو بين علم الصّوت واللّغة والبيان كما في الآية:9. أمّا جمعه لأربعة علوم فكان في ثلاثة مواضع فقط من السورة؛ مثلما نجده في الآية:14 حيث جمع فيها بين علم الصّوت والنّحو واللّغة وعلم المعاني، كما جمع بين علم الصّوت والصّرف والنّحو واللّغة؛ هذا ما نلاحظه في الآية:19؛ واعتمد علم الصّرف والنّحو واللّغة والبيان في تفسير الآية:39.

وهذا لأهمية اللّغة العربية ولما تقدّمه بعلمها المختلفة، فكان في تفسيره للآية الواحدة يعتمد على أكثر من علم وذلك على حسب ما تقضيه الآية، ورغبة منه رحمه الله في مزيد إيضاح وبيان للآية التي بين يديه يفسرها بمختلف المستويات من الإفراديّة إلى التركيبية وهذا لارتباطها ببعضها فمثلاً : لتفسير آية واحدة اعتمد على علم الصّوت ليبيّن معنى اللفظة من ناحية أصل الحروف ودلالاتها وكذا ما يحدث من تغيّر في المعنى إذا حذفنا حرف أو أضفناه أو استبدلناه مكان آخر وهذا ما سيؤثر في بنيته الكلمة؛ فتتغيّر بتغيّر حروفها وترتيبها وتخفيفها وتشديدها وهنا يتغيّر أصل الكلمة واشتقاقها والمعاني التي يطرحها كل اشتقاق، وهذه الأخيرة كانت له كأداة حتى يستدل على المعنى الذي اختاره للآية أو أداة تُفسر سبب الاختلاف بين العلماء في ترجيحاتهم لمعاني الآية، ثم يلجأ إلى النّحو فيرى موضع اللفظة في الآية وما حملت وأضافت من معاني، ووجد في النّحو غايته لما له من وسائل عدّة تخدم غايته كالإعراب ومعاني الحروف والضمائر... ليتعدّى في تفسيره إلى

الجانب الأسلوبي؛ فيرى بأيّ أسلوب وردت وما أضافته بحسب خصائص كلّ منها ومن جهة أخرى فعلم واحد لوحده لا يكفي لبيان دلالة الآية كلّها لكن بإضافة فائدته إلى ما يقدمه علم آخر يكتمل معنى الآية من خلال تكامل معارف هذه العلوم؛ فالصّرف لا يكفي لبيان تمام المعنى لكن بإضافة التفسير النّحوي والصّوتي واللّغوي نعرف بنية هذه الكلمة ومعناها وأثرها في التركيب وهذا يساعدنا في فهم الآية ومقصودها.

وهذا ما نلاحظه حتى في كلامنا العادي، فنحن ننطق بأصوات تضبطها حركات فنرتبها في بنية وعلى صيغة معينة ليكون لها معنى في حدّ ذاتها، ثم نضيف هذه الكلمة إلى كلمة أخرى معتمدين ترتيب مقصده حتى يتشكّل لدينا جملة لها معنى تام اكتسبته من معاني ألفاظ وضعناها في تركيب معيّن لأداء معنى مقصود، فنكون بهذا وفي جملة واحدة جمعنا بين مختلف المستويات اللّغوية وفق قواعد مضبوطة لأداء معنى تنقله إلى غيرنا.

كلّ هذا وغيره دلالات وبصائر على أهميّة وأثر اللّغة العربيّة وعلومها في تفسير القرآن العظيم، ولها في ذلك شرف من ربّ العزّة أن تكون أداة لإيضاح وبيان معاني آيات القرآن؛ وبالتالي فهم معانيه ونقل وأدراك هذه الرّسالة السماويّة السّامية؛ وعندما تميّزت به اللّغة العربيّة من خصائص وصفات دون غيرها من اللّغات السّامية كالثراء اللغوي والقدرة التعبيرية بأجلي المعاني وأدقها من خلال وسائلها؛ سواء اللّغوية كالحروف ومعانيها أو الأساليب كالنّقد والتأخير الحذف الالتفات، العلاقات الاسناديّة والتركيبية... إضافة إلى الأساليب البديعيّة التي تعبّر عن المعنى بمزجه بالحقيقة والخيال وذلك من خلال ما تقدمه الفنون البديعية، والبيانية من متشابه واستعارات ومجازات... هذا بالإضافة إلى تعدد علومها واتساع مجالات اهتماماتها من المستوى الصّوتي إلى الإفرادي إلى المستوى التركيبي؛ ولكلّ ضوابطه وما يميّز به عن غيره في خدمة نظام العربيّة وهكذا فبانسجام وترابط العلوم العربيّة تكاملت المعاني وحصلت الدّلالة وهذه السّمة خدمت كثيرا القرآن الكريم في

تفسير آياته، وهو ما وقفنا عليه في هذا البحث إذ رأينا كيف أن السّمين وصل إلى المعنى المراد من الآية بالإستعانة بهذه العلوم وكذا من خلال الجمع بين هذه العلوم العربيّة في تفسيره لآية واحدة.

من خلال ما مرّ بنا في هذه المباحث توصلنا إلى نتائج مهمّة، توضّح أهميّة العلوم العربيّة في تفسير القرآن الكريم وأثر مباحثها في بيان المعنى تارة واختلافه تارة أخرى. فرأينا أن نجتمع هذه النتائج في النقاط التالية:

- لعلم الصوت ومباحثه أثر في اختلاف المعاني وبالتالي اختلاف تفسير الآيات، وهذا من خلال الخصائص التي يتميّر به بصوت العربيّ كالحذف والزيادة والاستبدال أو التشديد والتخفيف؛ فهذا التّفسير كان يعطينا معاني جديدة أو يكون سبباً في اختلافها وفي آيات أخرى صنع الفرق في المعاني بإضافته أو حذفه.

- أمّا علم الصّرف فيتميّز بمباحث مهمة ساعدتنا على معرفة الفروق في المعاني بين صيغة وصيغة، وكذا معرفة المعاني المختلفة للكلمة الواحدة من خلال معرفة أصلها واشتقاقها وما أضافته أيضاً المسائل الصرفيّة كالاسم بين المفرد والجمع أو بين المذكر والمؤنث والمصادر ومالها من أثر في بيان المعنى وتوضيحه.

- ساهم علم النّحو في نفس الغاية وكان من أكثر العلوم التي اعتمدها السّمين الحلبيّ في هذه السّورة، فاعتمد على الإعراب بطريقتين إمّا أن يعرب اللفظة أو الجملة مباشرة وإمّا يقدم الأوجه المحتملة لها ومع كلّ وجه يختلف معنى الآية، وكذلك معان الحروف التي وجهت المعاني، فكان للحرف الواحد عدّة أوجه وكلّ وجه يقدم معنى مختلف عمّا سبقه. وباختلاف العائد من الضمائر اختلفت معاني الآيات ليرز بدوره أثره في توجيه معاني الآيات.

- بيّن لنا علم اللّغة معاني اللّفظة الواحدة وطرق استعمالها عند العرب من خلال عدّة طرق حسب ما تقتضيه كلّ آية.

- أمّا علم البلاغة فالتمسنا من خلاله إعجاز القرآن الكريم وبراعة أساليبه وذلك لما تتميز به البلاغة بعلومها من معان وبيان، وقد أدرك السّمين الحلبيّ أهميّة العلوم العربيّة فجعلها وسيلة لتفسير السّورة الكريمة، بل كان في الآية الواحدة جامعًا لأكثر من علم وهذا ما لاحظناه في الجدول الإحصائي.

تطرقنا في دراستنا هذه الموسومة " بأثر علوم العربية في تفسير القرآن الكريم من خلال تفسير سورة يس في كتاب الدرّ المصون ". إلى الجانب النظري حاولنا أن نبين فيه العلاقة بين العلوم العربية فيما بينها وكذا علاقتها بالقرآن الكريم، وقمنا بدراسة تطبيقية تناولنا فيها كتاب الدرّ المصون للسمين الحلبي في تفسيره لسورة يس، محاولين أن نبين فيها أثر العلوم العربية في تفسير القرآن الكريم عامّة وسورة يس خاصّة، ومدى اعتماد السمين الحلبي على هذه العلوم في تفسيره للآيات.

وأردنا أن نجمع النتائج التي توصلنا إليها من خلال عملنا هذا وذلك ليسهل على القارئ تذكّر محتوى البحث والاستفادة منه:

1- أنزل القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين، حتى يسهل على العرب فهم مقاصده وتدبر معانيه، فكانت العربية أهمّ وسيلة لفهم النصّ القرآنيّ واستنباط أحكامه وذلك لما تتميز به من خصائص وأسرار أهمّها: السّعة والاقتصاد والتّصوير... فاستعان بها العلماء وألّفوا كتباً عدّة ربطوا فيها القرآن الكريم باللّغة العربيّة.

2- اللّغة العربيّة نظام متكامل من العلوم ولكلّ علم مجموعة من الصّفات والسّمات التي تؤهّله لخدمة المعنى، أمّا حصول الدّلالة فلا تكون بعلم واحد وإنّما يحتاج إلى ما تفيده العلوم الأخرى من معارف حتى يكتمل المعنى بتضافر معارف هذه العلوم.

3- خدمةً للقرآن الكريم تقاربت العلوم العربيّة مع العلوم الأخرى، فظهر علم التّفسير وعلوم الحديث والفقّه والقراءات والفلسفة وعلم الكلام؛ وبذلك تشعبت المعارف لدى العلماء فنتج عن ذلك مؤلّفات شاملة لمختلف العلوم.

4- يعتبر السّمين الحلبي من أهمّ العلماء الذين برعوا في هذا النوع من الدّراسات، وظهر ذلك من خلال كتابه " الدّر المصون في علوم الكتاب المكنون "، بعدما تمكّن من عدّة علوم عربيّة وقرآنيّة، وشغل مناصب عدّة في موطن نبوغه.

5- بيّن السمين الحلبي في كتابه الدّر المصون منهجه في التّأليف وبيانه لمعاني الآيات، إذ يذكر الآيات ثمّ يستعين في شرحها بالقضايا اللّغوية المختلفة، ويرجح الرّأي الأصوب، وللسّمين في كتابه منهجان: منهج لغويّ اتبع فيه المدرسة البصرية، ومنهج تفسيريّ سار فيه على درب من اجتهد في تفسير القرآن الكريم، مستمداً ذلك من الكتاب والسنة عالمًا باللّغة العربيّة خبيرًا بأساليبها، وهو ما يسمّى: " التّفسير بالرّأي في قسمه المحمود ". فمنهجه التّفسييري مبني على الاجتهاد يستند على ما جاء في الكتاب والسنة وموافق للقواعد العربيّة وأساليبها في الكلام.

6- للدّر المصون قيمة علميّة عظيمة تكمن في الربط بين علوم اللّغة العربيّة مجتمعة وكيف لها أن تخدم القرآن الكريم وتفسيره، إضافة إلى جهوده ومناقشاته فيه للعلماء والمفسرين والقراء.

7- للّغة العربيّة أثر في تفسير القرآن الكريم، ظهر ذلك من خلال تفسير سورة يس في كتاب الدّر المصون للسّمين الحلبي وذلك من خلال ما يقدّمه كل علم منها من معارف إذ:

8- ساهم علم الصوت في تفسير الآيات وإدراك الفروقات في المعاني بين القراءات المرجّحة للّفظة الواحدة، كونها اختلافات في الحركات واستبدال الأصوات أو زيادتها وحذفها، أو تشديدها وتخفيفها.

9- أضاف علم الصرف في تفسير الآيات الكريمة معانٍ فتحت لنا آفاقاً لمعرفة إعجاز القرآن وأسرار استعماله للّفظة دون لّفظة وصيغة دون الأخرى.

10- استفدنا مما يقدمه علم النحو في تفسير الآيات التي بين أيدينا من خلال عدة وسائل تؤهله لذلك منها الإعراب الذي فتحت به معاني الآيات وحروف المعاني التي بتعدد معانيها تعددت

احتمالات تفسير الآية الواحدة وكذا إحالة الضمائر وفيها تضاربت المعاني واختلفت مع اختلاف العائد في كل مرة.

11- أما علم المعاجم فشرح ألفاظ القرآن الكريم حسب ما تقتضيه الآيات، فأحيانا يشرح اللفظة داخل سياق الآية التي وردت فيه أو بإضافة أقوال العرب للاستشهاد وأحيانا أخرى تُشرح اللفظة خارج سياق الآية.

12- استفاد السمين الحلبي مما يقدمه كل علم من هذه العلوم بل أنه اعتمد في تفسير معظم الآيات على أكثر من علم فوصل إلى المعاني بالجمع بين هذه العلوم.

13- اعتمد السمين الحلبي في تفسيره لسورة يس على العلوم العربية المتمثلة في: علم الصوت، علم النحو، علم الصرف، علم اللغة، وعلم البلاغة بعلومها، وفق طريقة معينة إما أن يعتمد في الآية الواحدة على علم واحد؛ وإما أن يجمع أكثر من علم في تفسيره لهذه الآية.

14- اعتمد السمين الحلبي في تفسيره لبعض الآيات على علم واحد فقط، حيث ورد هذا في ثمانية وعشرين موضعاً توزعت على مختلف العلوم العربية، وكان أغلب اعتماده على علم النحو إذ فسرت به احدى وعشرون آية؛ أما علم الصوت فاعتمد عليه في تفسير ثلاث آيات مثل ما هو الشأن مع علم اللغة. أما علم البلاغة وعلم الصرف فاعتمد كل منهما على حدة في تفسير الآية الواحدة من هذه السورة.

15- جمع السمين الحلبي في تفسير آيات سورة يس بين مختلف العلوم العربية في موضع واحد، إذ جمع بين علمين في تفسير الآية الواحدة، وهو ما ورد في خمسة عشر موضعاً من السورة، في حين كان يعتمد على ثلاث علوم في تفسير الآية الواحدة وهو ما لاحظناه في اثني عشرة آية، في حين اعتمد على أربع علوم في تفسير الآية الواحدة وهو ما التمسناه في آيات سورة يس.

16- كان اعتماد السمين الحلبي في تفسيره لآيات سورة يس على الجمع بين مختلف العلوم العربية في الآية الواحدة أكثر من اعتماده على علم واحد؛ فقد اعتمد على الجمع بين العلوم العربية في ثلاثين موضع. في حين اعتمد على علم واحد في ثمانية وعشرين موضعاً.

17- من خلال دراستنا هذه، تبين لنا أنّ من المفسرين من اعتمد علما واحدا في تفسيره للقرآن الكريم، كعلم النحو في جامع الأحكام للقرطبي، ومعاني القرآن للزجاج و كذا للفرّاء، وأيضا كتب إعراب القرآن. وكتب التفسير البلاغية مثل الكشاف للزمخشري. ومن المفسرين من نظر الى القرآن نظرة تكاملية فجمع في تفسيره مختلف العلوم العربية؛ كالدرا المصون للسمين الحلبي، والبحر المحيط لأيّ حيّان الأندلسي وروح المعاني للألوسي، فاستفادوا مما تقدمه معارف هذه العلوم مجتمعة وما لها من أثر في توضيح معاني القرآن وتفسير آياته.

نتمنى من خلال بحثنا هذا الذي صدقنا فيه البحث والعمل، أن يُنتفع به ويكون صالحاً في ثوبه هذا؛ بأن يقدم بداية لبحوث أخرى أكثر دقة. والله من وراء القصد والمبتغى، فاجعله اللهم خالصاً لوجهك الكريم وانقل به ميزان العمل الصالح يا رب.

ومن سنة الله في خلقه أنّ أيّ إنسان يكتب كتابا أو بحثا في يومه، إلاّ وقال في غده لو غُيّر هذا لكان أحسن، ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قدّم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العبر دليل على استلاء النقص لجملة البشر.

فهرس المصادر والمراجع:

المصحف الشّريف.

1- ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ، محمد بن محمد بن يوسف ، غاية النهاية في طبقات القراء، ط1. رجستراسر: 1351هـ ، مكتبة ابن تيمية.

2- ابن جنّي، أبو الفتح عثمان، المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، تح:علي النجدي ناصف عبد الفتّاح اسماعيل شلبي وآخرون، القاهرة:1994 .

3- أبو بكر بن أحمد، تقي الدين ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، تح:الحافظ عبد ط1. بيروت: 1407، عالم الكتب.

4- أحمد بن علي بن عبد القادر، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ط1. لبنان: 1997، دار الكتب العلمية.

5- الألويسي، البغدادي، روح المعاني في تفسير القرى، العظيم والسبع المثاني، لبنان، دار احياء التراث العربي.

6- الرّجّاج، أبو اسحاق إبراهيم بن السّري، معاني القرآن واعرابه، تح: عبد الجليل عبده شلبي، ط1. بيروت: 1988، عالم الكتب.

7- الرّجّاجي أبو القاسم عبد الرحمان بن اسحاق ، من اشتقاق أسماء الله، تح: عبد الحسين المبارك، ط2. بيروت:1986، مؤسسة الرّسالة.

8- الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوب التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود، علي محمد معوّض وآخرون، ط1.الرياض: 1998، مكتبة العبيكان.

- 9- السّمين الحلبي، أحمد بن يوسف، الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون، تح: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.
- 10- السيوطي، جلال الدّين، التّحبير في علم التّفسير، تح: زهير عثمان علي نور، ط1. قطر: 1995، ادارة الشؤون الإسلاميّة.
- 11- العسقلاني، ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، تح: محمد عبد المعيد ضان، ط2. الهند: 1972، مجلس دائرة المعارف العثمانية.
- 12- العسكري، ابن هلال، جمهرة الأمثال، بيروت، دار الفكر.
- 13- القرطبي أبو عبد الله محمد ابن أحمد الأنصاري ، الجامع لأحكام القرآن، ط2. القاهرة: 1935، دار الكتب المصرية.
- 14- المعلوف، أحمد محمد، المعاجم اللغوية العربية، ط1، لبنان: 2008، دار النهضة العربية.
- 15- تمام حسان، الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللّغوي عند العرب: النّحو، فقه اللّغة، البلاغة، القاهرة: 200، عالم الكتب.
- 16- تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، د ط، المغرب، 1994، دار الثقافة.
- 17- حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، بغداد: 1941، مكتبة المثنى.
- 18- عبد القادر حسين ، أثر النّحاة في البحث البلاغي، القاهرة: 1998، دار غريب.
- 19- سيبويه أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، الكتاب، تح: عبد السّلام محمّد هارون، ط2. القاهرة: 1982، مكتبة الخانجي، القاهرة ودار الرفاعي، الرّياض.
- 20- عبد المعطي، جاب الله، دراسات في علم اللّغة الحديث، الجزائر: 2009، دار الكتاب الحديث.

- 21- محمود أحمد الصغير، الأدوات النحوية في كتب التفسير ، ط1. سورية: 2001، دار الفكر.
- 22- ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تح: محمد عبد الرحمان المرعشلي، ط1. بيروت: 1418هـ، دار إحياء التراث العربي.
- 23- نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، ط1. جامعة الشارقة، 2010.
- 24- محمد حسين آل ياسين، الدراسات اللغوية عند العرب، ط1. بيروت: 1980، دار مكتبة الحياة.
- 25- مصطفى صادق، الرافي تاريخ آداب العرب، ط1. المنصورة: 1997، مكتبة الإيمان.
- 26- مصطفى الغلاييني، جامع الدروس العربية، تح: محمد أسعد النادري، ط39، بيروت: 2001.
- 27- تمام حسان، اجتهادات لغوية، ط1، القاهرة، 2007، عالم الكتب.
- 28- حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، دط. القاهرة: 1998، دار الفكر العربي.
- 29- محمد درّاجي، محاضرات في علم التفسير ومناهج المفسرين، ط1. الجزائر، دار عبديني.
- 30- عبد الحميد الجياش، دراسات في علوم القرآن، ط1. لبنان: 2009، مكتبة الزهراء.
- 31- أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن ابراهيم بن عمر السحي ، لباب التأويل في معاني التنزيل، تح: محمد علي شاهين: ط1. بيروت: 1415هـ، الكتب العلمية.
- 32- فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، بحوث في أصول التفسير ومناهجه، ط4. 1419هـ، مكتبة التوبة.
- 33- محمد أحمد بن مصطفى بن أحمد أبو زهرة، المعجزة الكبرى القرآن، دط. دس، دار الفكر العربي.
- 34- محمد الطاهر ابن عاشور، تفسير التحرير والتوير، دط. تونس: 1984، الدار التونسية.

قائمة المعاجم اللغوية

- 1- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، ط4. لبنان: 2005، دار صادر.
- 2- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط4. مصر: 2004، مكتبة الشروق الدولية.

الرسائل العلمية:

- 1- عزيزة كعواش، خصائص المنهج اللغوي في التفسير حتى نهاية القرن الثالث الهجري، رسالة ماجستير، جامعة قسنطينة: 1999-2000.
- 2- علي عبد الله علي القرني، أثر الحركات في اللغة العربية دراسة في الصوت والبنية، رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة السعودية: 2004.
- 3- فضيلة جوهرى، القرآن الكريم بين الفهم والتفسير والتأويل، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجزائر: 2006-2007.
- 4- نجية عبابو، التحليل الصوتي والدلالي للغة الخطاب في شعر المدح" ابن سحنون الراشدي "نموذجاً"، مذكرة معدة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الشلف: 2008، 2009.
- 5- باسل عمر مصطفى المجايدة، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة المائدة، رسالة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة غزة: 2009.

فهرس الموضوعات

06.....	مقدّمة.....
11.....	تمهيد.....
43 - 16.....	الفصل الأول: علاقة العلوم العربية بالقرآن الكريم
16.....	المبحث الأول: علوم العربية وأثرها في تفسير القرآن.....
16.....	أولاً: العلوم العربية قبل انفصالها.....
19.....	ثانياً: حصول الدلالة بتكامل معارف علوم العربية.....
24.....	ثالثاً: دور اللغة العربية في تفسير القرآن الكريم.....
28.....	المبحث الثاني: ترجمة موجزة للمؤلف " السمين الحلبي ".....
28.....	أولاً: اسمه ونسبه ولقبه وكنيته.....
28.....	ثانياً: مولده ونشأته العلمية.....
29.....	ثالثاً: آثاره العلمية.....
29.....	رابعاً: مؤلفاته.....
30.....	خامساً: وفاته.....
32.....	المبحث الثالث: التعريف بالمؤلف الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون.....
32.....	أولاً: قيمة الكتاب ومنهجه فيه.....
35.....	ثانياً: مصادره.....

37.....	ثالثاً: منهجه في التفسير.....
	الفصل الثاني: أثر علوم العربية في تفسير "سورة يس في كتاب الدر المصون في علوم الكتاب
124 - 45.....	المكنون.....
45.....	المبحث الأول: أثر علم الصوت في تفسير القرآن "سورة يس من خلال كتاب الدر.....
45.....	أولاً: قراءة اللفظة "يس" بين الإدغام والإظهار وأثر ذلك في معنى الآية.....
46.....	ثانياً: في تخفيف الحروف وتشديدها.....
51.....	المبحث الثاني: أثر علم الصرف في تفسير سورة "يس في كتاب الدر المصون للسمين الحلبي".....
51.....	أولاً: تصريف الأفعال.....
52.....	ثانياً: تصريف الأسماء.....
58.....	المبحث الثالث: أثر علم النحو في تفسير "سورة يس في كتاب الدر المصون للسمين الحلبي".....
58.....	أولاً: الإعراب.....
70.....	ثانياً: معاني الحروف.....
74.....	ثالثاً: عودة الضمير.....
78.....	المبحث الرابع: أثر علم اللغة في تفسير "سورة يس في كتاب الدر المصون للسمين الحلبي".....
78.....	أولاً: ذكر دلالة اللفظة المفردة في سياق الآية.....
80.....	ثانياً: ذكر دلالة اللفظة في سياق الآية مستشهداً بكلام العرب.....
82.....	ثالثاً: ذكر دلالة اللفظة خارج سياق الآية.....
83.....	رابعاً: ذكر دلالة اللفظة بصيغ أخرى.....
84.....	المبحث الخامس: أثر علم البلاغة في تفسير "سورة يس في كتاب الدر المصون للسمين الحلبي".....

84.....	أولاً: علم المعاني.....
84.....	1.1- الأساليب.....
84.....	ثانياً: علم البيان.....
87.....	1- الاستعارة.....
88.....	2- المجاز.....
88.....	3- التشبيه.....
100.....	المبحث السادس: دراسة إحصائية لمدى اعتماد السمين الحلبي على العلوم العربية.....
125.....	خاتمة.....
129.....	قائمة المصادر والمراجع.....
133.....	فهرس الموضوعات.....